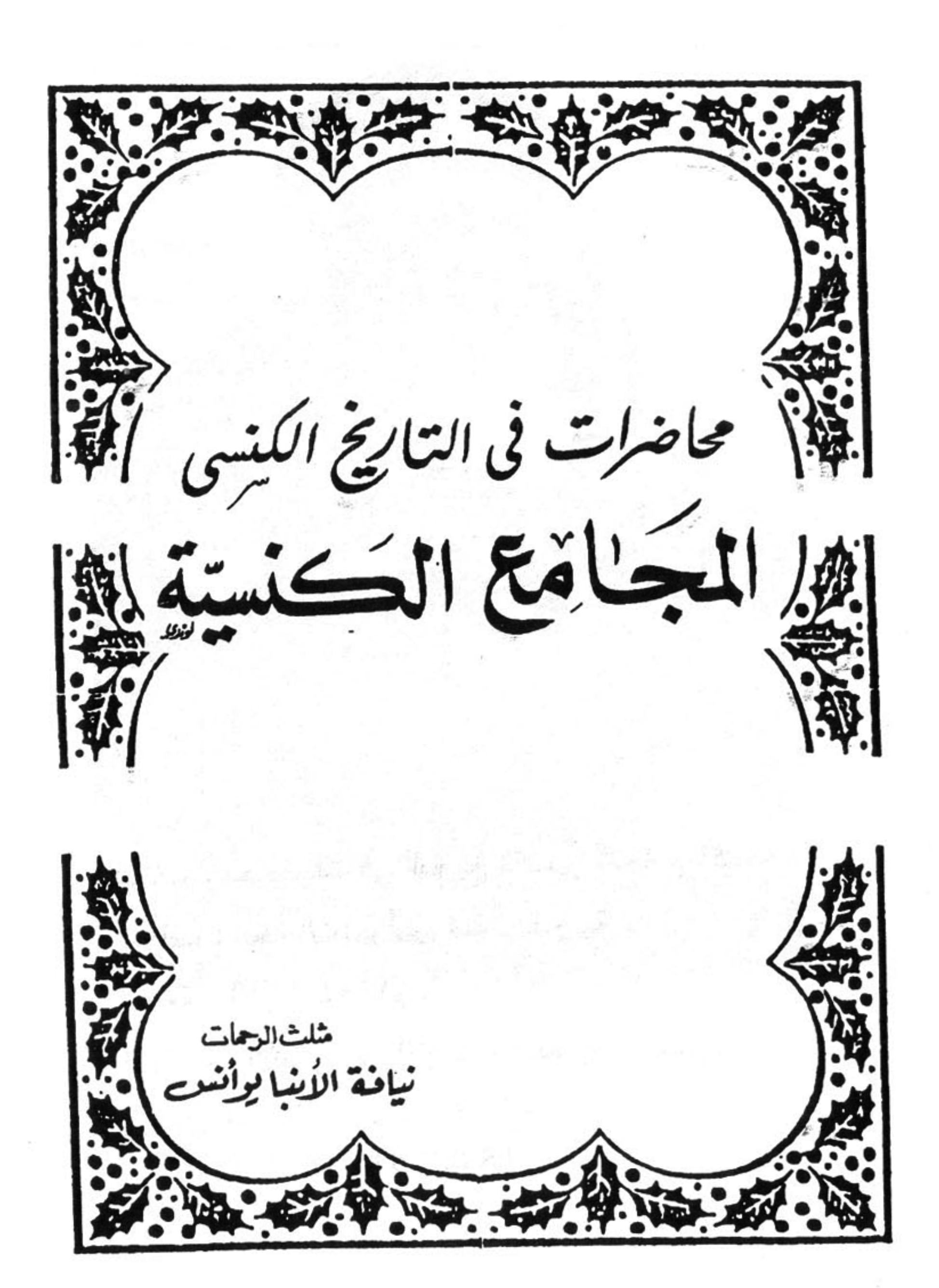

المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com


محاضرات فى التاريخ الكنسى
المجامع الكنسية
مثلث الرحمات
نيافة الأنبا يوأنس



محاضرات فى التاريخ الكنسى

المجامع الكنسية

مثلث الرحمات

نيافة الأنبا يوأنس

الكتاب : محاضرات فى التاريخ الكنسى المجامع الكنسية .
المؤلف : نيافة الأنبا يوأنس أسقف الغربية .
الطبعة : الأولى ١٩٩٤م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية - القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٤/٩٥٥٧
I.S.B.N. 977 - 00 - 7712 - 7



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارئ العزيز ثمرة من ثمار البستان اليانع الذى هو مؤلفات **أبينا الحبيب القديس مثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس أسقف الغربية** . ذلك العالم والمعلم الكنسى الذى سيظل الكثيرون يتتلمذون على كتاباته ، تلك الذخيرة الحية التى يجد فيها الإنسان غذاء لفكره وشبعاً لروحه .

لقد نشر هذا الكتاب منذ أوائل الستينات ، نشر أولاً في **صورة مذكرات فى مادة التاريخ الكنسة لطلبة الكلية الإكليريكية اللاهوتية بالقاهرة** . وحينما أسس نيافته الكلية الإكليريكية اللاهوتية بطنطا عام ١٩٧٦م . أصدر طبعة جديدة لهذه المذكرات خاصة الجزء الأخير منها وهو الخاص بتاريخ الكنيسة بعد مجمع خلقيدونية .

وفى مناسبة الذكرى السابعة لإنتقال نيافته إلى مجمع القديسين ننشر هذه المذكرات فى صورة كتاب وفاء منا لصاحبه وإثراء للمكتبة القبطية التى أثراها نيافته من قبل بكتاباته المتعددة فى العلوم الروحية واللاهوتية والتاريخية والطقسية .

نطلب لأبينا الحبيب صاحب هذا السفر النفيس نياحاً فى أحضان القديسين ، الذين كتب سيرهم من قبل وتمثل بهم وعايشهم وتلامس معهم حتى إنتقل ليحيا معهم إلى الأبد .

نطلب لنيافته نياحاً وفرحاً سماوياً ونسأله أن يذكرنا دائماً نحن أبنائه وأحبائه بصلوات **أبينا الحبيب صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث أطال الله حياته .**

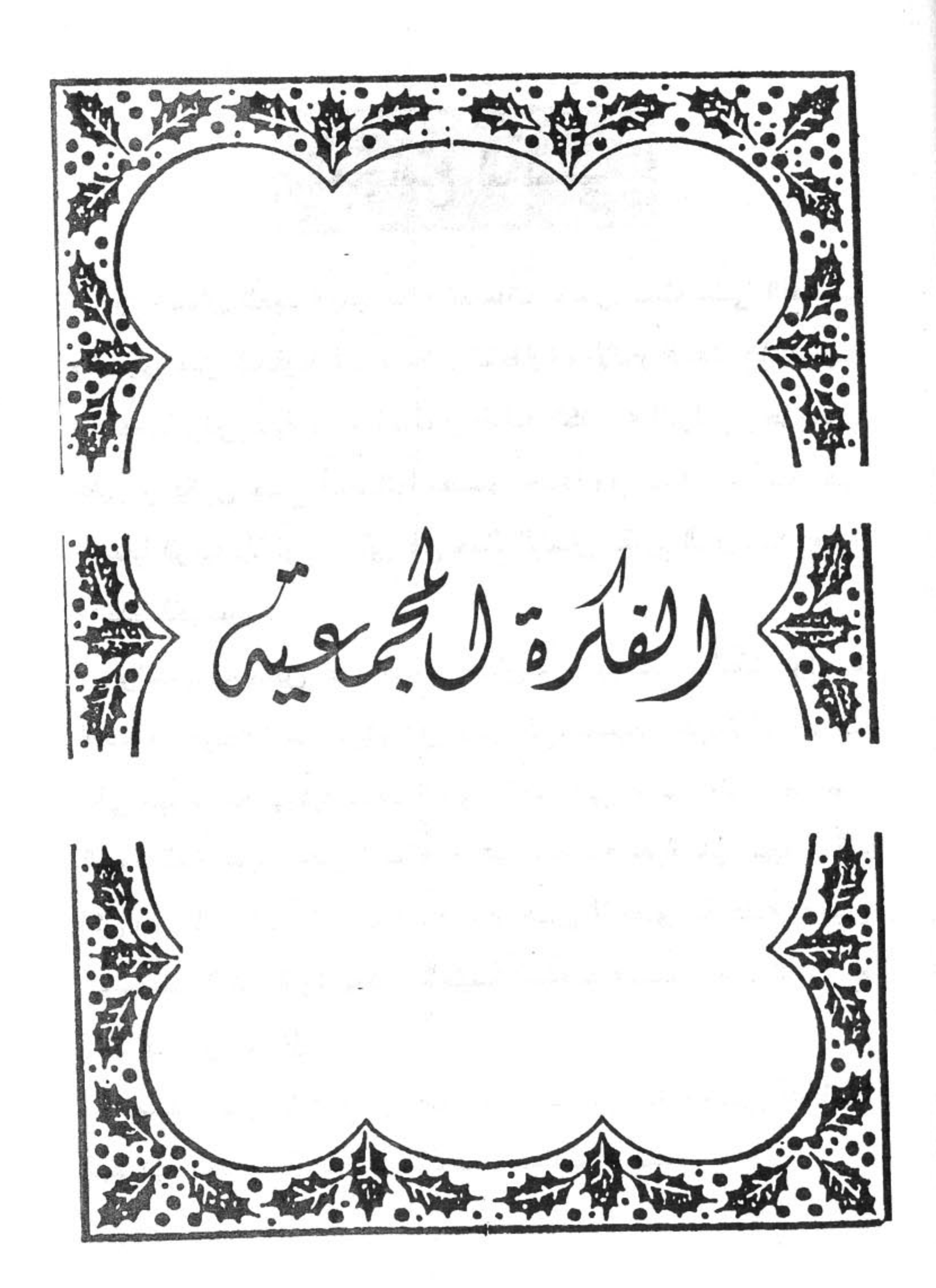
ولإلهنا كل مجد وكرامة من الآن وإلى أبد الآبدين ، آمين .

٤ نوفمبر ١٩٩٤ — إيبذياكون جرجس إبراهيم صالح

٢٥ بابه ١٧١١ش — خادم وتلميذ مثلث الرحمات الأنبا يوأنس

الذكرى السابعة لإنضمام نيافته إلى مجمع القديسين





الفكرة المجمعية

المجامع الكنسية

إن رسائل العهد الجديد بما تضمنته ، من حث على الفضيلة وتحذير من السقوط فى بعض الخطايا والإنحرافات اللاهوتية والعقيدية والروحية ، إنما تظهر يقظة الكنيسة الأولى وحرصها على أن يكون جميع أعضائها مقدسين جسداً وروحاً ، سالكين فى وصايا الرب بلا لوم مدققين فى حفظ الإيمان القويم الذى سلم مرة واحدة للقديسين .

والمسيحية كدين جديد صاعد منبثق من اليهودية ، ألتقت أول ما التقت باليهودية نفسها . بل كان ينظر إلى المسيحية فى أول أمرها على أنها شيعة يهودية جديدة . وساعد على هذه النظرة حرص اليهود المتنصرين على الإستمرار فى ممارسة عوائدهم اليهودية ، لكن سرعان ما حدث الصدام – الذى كان لا مندوحة عنه – بين المسيحية الناشئة واليهودية العتيقة المتأصلة صدام من الخارج ومتاعب من الداخل .

صدام من الخارج فى صورة الإضطهادات التى أعلنتها اليهودية المتعصبة على الجماعات المسيحية الناشئة .

ومتاعب من الداخل أثارها اليهود المتنصرون الذين نادوا بضرورة التمسك بالناموس الموسوى والعوائد اليهودية وإلزام الأمم المتنصرون بضرورة مراعاتها وإلا فلا خلاص لهم .

وما لبثت المتاعب أن ظهرت من ناحية الأمميين الوثنيين، بعد أن اتسعت دائرة الإيمان وكثر عدد المؤمنين منهم . أولاً عن طريق الإضطهاد الخارجى الذى أثارته الوثنية ممثلة فى الدولة الرومانية ضد الكنيسة المسيحية. وثانياً عن طريق المحاولات التى قام بها بعض المفكرين والفلاسفة الوثنيين المتنصرين لتفسير المسيحية على ضوء الآراء والفلسفات الوثنية لتقريبها إلى عقول الوثنيين غير المؤمنين ، وما نتج عن ذلك من إنحرافات فكرية وعقيدية .

كان أمراً طبيعياً إذن أن تواجه الكنيسة المسيحية الناشئة هذه المشاكل الإيمانية العقيدية مجتمعة، وكان لابد أن تجد لها حلاً ، وقد أخذت الكنيسة – منذ أول عهدها – بمبدأ حل المشاكل التى تواجهها بواسطة مجامع دينية . وعلى هذا فيمكن القول أن الفكرة المجمعية قد إنبثقت فى الكنيسة الأولى نتيجة إحساسها بالحاجة إليها .

الفكرة المجمعية

أ – فى اليهودية :

وإذا أردنا تقصى النظام المجمعى المسيحى ، فإننا نلمس جذوره فى اليهودية . ومن أمثلته المجامع التى عقدها كهنة اليهود ورؤساؤهم على السيد المسيح (أنظر مت٢٦: ٣، ٤؛ مر١٥: ١) . ومن أمثلتها أيضاً المجامع اليهودية التى إنعقدت لتحاكم التلاميذ لكرازتهم بالإيمان المسيحى (أنظر أع٥: ٢١) . وجدير بالذكر أن الرب يسوع فى قوله الوارد فى (مت١٨: ١٥– ١٧) " إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو إثنين.. وإن لم يسمع فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار" يستعمل عبارة "كنيسة" ويتحدث عنها كهيئة قضائية – كالمجمع اليهودى لها السلطة – بعد مناقشات – أن تصدر قرارات وتمارس نظاماً معيناً ...

ب - فى كنيسة الرسل :

ولعل أول مجمع عقدته الكنيسة المسيحية هو مجمع أورشليم الذى يحدثنا عنه كاتب سفر الأعمال فى الإصحاح الخامس عشر. والذى التأم للنظر فى أمر الداخلين من الأمم إلى الإيمان المسيحى، وما إذا كان لابد لهم أن يتهودوا أولاً . وإلى أى حد يجب أن يلتزموا بالناموس الموسوى. أنعقد هذا المجمع سنة ٥٠م . وحضره بطرس وبولس ويوحنا وبرنابا وتيطس - وربما غيرهم من الرسل ممن لم يذكرهم كاتب سفر الأعمال. لكن إلى جانب هؤلاء الرسل كان بعض القسوس والأخوة العلمانيين (أنظر أع١٥: ٦، ٢٢، ٢٣) وقد رأس المجمع القديس يعقوب أسقف أورشليم بأعتباره أسقف المكان ، وكان حله المؤقت الذى أرتأه هو الذى وافق عليه المجمع. والظاهرة الواضحة فى هذا المجمع أن روح الله كان يعمل به وفيه ولذا لا نعجب إذا رأينا - على الرغم من دقة الموضوع الذى كان يناقش - وحدانية القلب والروح والفكر .

وسنرى كيف أن المجامع الكنسية كانت وسيلة هامة لتدعيم وتقوية الوحدة المسيحية والكنسية وإقرار كل ما يتعلق بالإيمان والنظام. وهى -ولاشك- تحتل صفة بارزة فى تاريخ الكنيسة

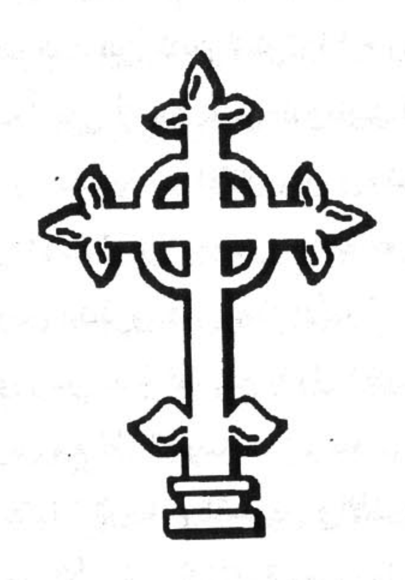
المسيحية .

ج – ما بعد العصر الرسولى :

لا يقدم لنا التاريخ الكنسى دليلاً أكيداً على أى أثر لإنعقاد مجامع من نوع مجمع أورشليم قبل منتصف القرن الثانى الميلادى، حينما انعقدت مجامع فى آسيا الصغرى للنظر فى بدعة المونتانيين Montanists وهم أتباع منتانوس Montanus الذى زعم أنه هو البارقليط الموعود به من السيد المسيح .

وعقدت عدة مجامع فى أفسس فى أواخر القرن الثانى برياسة بوليكراتس Polycrates وفى فلسطين وبلاد ما بين النهرين Mesopotamia وفى بلاد البنطس وغالباً برياسة القديس ايريناوس Iranaous بخصوص موضوع عيد الفصح . وأول ذكر لأمثال هذه المجامع ورد فى رسالة من فرميليانوس أسقف قيصرية كبادوكية إلى القديس كبريانوس فى أوائل القرن الثالث . كما أشار إليها العلامة ترتليانوس فى بعض كتاباته كنوع من التنظيم الكنسى فى زمانه . ويشير إلى أن هذه العادات التى كانت متبعة فى الأقاليم الشرقية بدأت تسترعى أنظار اللاتين فى الأقاليم الغربية . على أن أول المجامع الغربية اللاتينية عقدت فى مطلع القرن الثالث

الميلادى فى شمال أفريقيا برياسة كبريانوس . ومن الرسالة التى أرسلها فرميليانوس والتى أشرنا إليها آنفاً نتبين أن المجامع كانت تجتمع بأنتظام مرتين فى كل عام فى آسيا الصغرى فى أوائل القرن الثالث الميلادى كنظام كنسى ثابت .



عضوية المجامع

من له الحق فى عضوية المجمع ، والحق فى التصويت بالنسبة لقراراته :

يرى البعض فى عضوية المجمع المسيحى الأول "مجمع أورشليم" وفئات المؤمنين الذين اشتركوا فيه وبالصورة التى إجتمع بها دليلاً واضحاً على أن من حق المؤمنين العلمانيين أن يسهموا فى إدارة الشئون الكنسية مع الإكليروس ويستندون فى ذلك إلى ما قاله كاتب سفر الأعمال فى معرض حديثه عن هذا المجمع "فأجتمع **الرسل والقسوس** لينظروا فى هذا الأمر" . وبعد كلمتى بطرس ويعقوب الذى رأس هذا المجمع يقول القديس لوقا " حينئذ رأى الرسل والقسوس مع كل الكنيسة .. " وحينما أقروا قرارت المجمع كتبوا بأيديهم هكذا " **الرسل والقسوس والأخوة** يهدون سلاماً إلى الأخوة الذين من الأمم فى أنطاكية وسوريا وكيليكية ... " (أنظر أع١٥: ٦، ٢٢، ٢٣) .

وفى المجمع الذى ألتأم سنة ٢٥٦ فى عهد القديس كبريانوس

أسقف قرطاجنة لمناقشة موضوع إعادة معمودية الهراطقة كان حاضراً ٨٧ أسقفاً بالإضافة إلى عديد من الكهنة والشمامسة وجمهرة من عامة الشعب . وجدير بالذكر أن الأساقفة فى هذا المجمع هم الذين كان لهم وحدهم دون سواهم حق التصويت . ويتخذ البعض من ذلك دليل على أن العلمانيين والقسوس وليس لهم حق التصويت ولكن فى بعض المجامع المكانية الأخرى كان القسوس والشمامسة، يوقعون بأسمائهم بعد الأساقفة . وموضوع حق القسوس والشمامسة فى التصويت رسمياً فى المجامع الكنسية - خاصة فى المجامع الإقليمية - كانت ومازال موضوع جدل . لكن الواقع أنه - على غرار ما يحدث الأن فى الشئون السياسية - كان كل أسقف يصحب معه مستشاريه من القسوس والشمامسة وبعد التشاور معهم كان يعلن رأيه بصفته أسقفاً وإن كان هذا الرأى فى واقع الأمر يعتبر محصلة رأيه وأراء مستشاريه . ويؤكد هذا الذى نقوله رسالة بعث بها الاكليروس الرومانى إلى القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة يتحدثون فيها عن المناقشات العامة المجمعية التى يجريها أساقفتهم مع القسوس والشمامسة والمعترفين والعلمانيين المعتبرين . على أن الأمر أصبح قاطعاً وواضحاً عقب مجمع نيقية المسكونى الأول سنة ٣٢٥م حيث أصبح للأساقفة وحدهم - بصفة

عامة - حق الحضور والتصويت . وأصبح القسوس والشمامسة مجرد سكرتاريين أو مستشارين أو نواباً عن أساقفتهم .

ويمكن أن نقسم المجامع الكنسية بصفة عامة إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى :

مجامع مكانية ، مجامع إقليمية ومجامع عامة "مسكونية" .

"١" المجامع المكانية
Diocesan Councils

وهى التى يجتمع فيها الأسقف والقسوس والشمامسة فى مركز الإيبارشية لتدبير أمورهم الخاصة . وإن كان التاريخ لايمدنا بمادة عن إنعقاد أمثال هذه المجامع قبل القرن الثالث المسيحى لكن من المحتمل أن تكون قد إنعقدت مجامع كنسية من هذا النوع قبل هذا التاريخ لأن الدسقولية - وهى تعاليم الرسل - تقول فى الباب الثامن منها " يكون "أى الأساقفة" إجتماعكم للأحكام يوم الأثنين . فإن كان ثمة خصومة فصلحوها وتكونون متفرغون لذلك طول الجمعة إلى يوم السبت لتنقضى الخصومة . فإن كان يوم الأحد المقدس تكونون قد أصلحتم بين المتخاصمين . ليحضر معكم يا أساقفة ، الشمامسة والقسوس .. إلخ " .

"٢" المجامع الإقليمية
Provincial Councils

وهذه بـدأت تظهـر مـع التنظيـم الكنسـى وكـانت تجتمـع برئاسـة مطران الأقليم "أى أسقف المدينة الأولى فـى الأقليم" . ونظـراً لمـا تعرضت له الكنيسة من عواصف الإضطهادات العنيفـة فقد عقدت هذه المجامع فى عاصمة الإقليم مـرة أو مرتيـن فـى العـام برئاسـة رئيس أساقفة الأقليم الذى كان له الأشراف على أساقفة الأقليـم وإن كان هذا لم يمنع من عقد إجتماعات غير عادية لهـذه المجـامع كلمـا إستجدت ظروف تدعوا إلى ذلك .

والتاريخ ملئ بأمثلة كثـيرة لهـذه المجـامع كـالمجمع الـذى عقـده البابا ديمتريوس بالأسكندرية سنة ٢٣١ للنظر فى أمر أوريجـانوس ومانسب إليه . وكالمجمعين اللذين عقدهما البابـا الكسـندروس ضـد آريوس سنة ٣١٩ ، ٣٢١م وحكم فيهما بحرم آريوس ومن يتبعه .

"٣" المجامع المسكونية

وهذه إجتمعت منذ عصر قسطنطين الكبير أو بعبارة أخرى مـن قت أن بدأت المسيحية تأخذ طريقها كديانة مسموح بها فى الدولـة

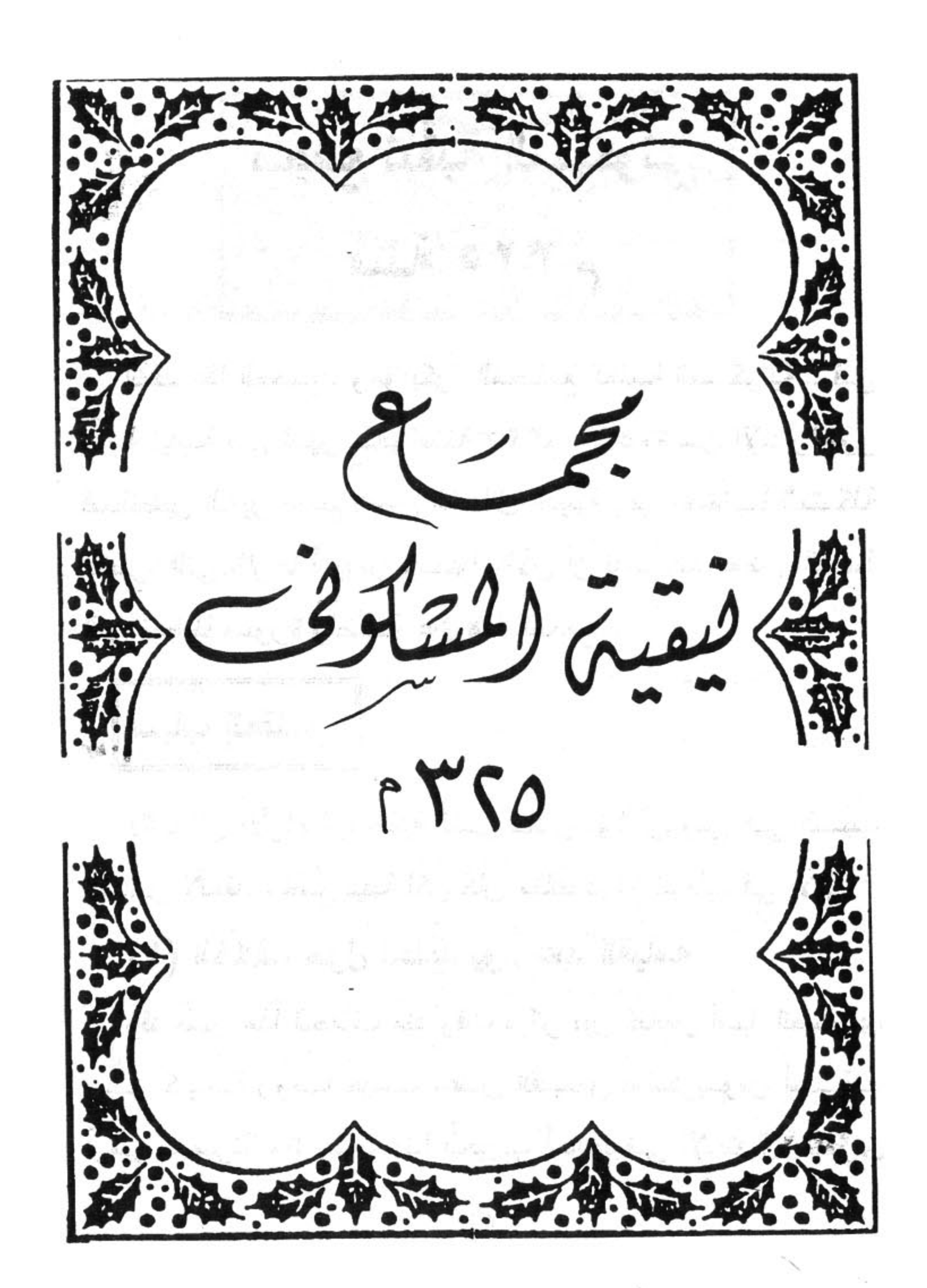
التى أخذت تحتضنها نتيجة إعتناق الأباطرة لهـذه الديانـة الجديـدة ، وقد إجتمعت هذه المجامع العامة لضرورات حتمية تختص بالإيمان والعقيدة . وإن كانت قد بحثت أموراً أخرى تتعلق بنواحـى التنظيـم الكنسى وكان يحضر هذه المجامع أساقفة من أنحاء العالم المسـيحى شرقاً وغرباً . والكنائس الأرثوذكسية تعـترف بثلاثـة مجـامع عامـة فقط هى مجامع نيقية والقسطنطينية وأفسس الأول . وهـذه المجـامع الثلاثة تعترف بها جميـع كنـائس العـالم شـرقاً وغربـاً وتتمسك بمـا وضعته من قوانين تحفظ الإيمان المسيحى . وكإظهار لهذه الحقيقـة تذكر كنيستنا هـذه المجـامع الثلاثـة فـى قداسـها الإلهـى "فـى تحليـل الخدام وفى مجمع الآباء القديسين" .

الأحكام الباطلة لبعض المجامع :

تعترف الكنيسة القبطية بمـا للمجـامع الكنسـية الأرثوذكسـية مـن سـلطان فـى إصـدار القوانيـن سـواء كـانت هذه القوانيــن تنظيميـة أوعبارة عن أحكام ضد المبتدعين والخـارجين عـن الإيمـان السـليم وهى تقبل هذه القوانيــن والأحكـام بشـرط ألا تتعـارض مـع الكتـاب المقدس والعقيـدة القويمـة والقوانيـن الكنسـية وإلا إعتـبرت باطلـة . وتاريخ الكنيسة به عينات كثيرة من المجامع الباطلة . ومن أمثلتهـا

مجمع صور الذى إنعقد لمحاكمة البابا أثناسيوس سنة ٣٣٤ وقضى بعزلة من وظيفته الكهنوتية وبالنفى وذلك لأن أعضاء هذا المجمع كانوا من الأريوسيين . وعلى الرغم من أن الإمبراطور أمر بتنفيذ قرارات هذا المجمع فإن الكنيسة إعتبرته باطلاً وظلت متمسكة برئيسها الدينى البابا أثناسيوس على الرغم من نفيه . ومن أمثلتها أيضاً المجمع المكانى الذى إنعقد بالقسطنطينية على القديس يوحنا ذهبى الفم . وعلى الرغم من أن البابا ثاؤفيلس البطريرك الأسكندرى ال٢٣ هو الذى رأس هذا المجمع إلا أن الكنيسة سرعان ما عادت فى عهد خلفه البابا كيرلس عمود الدين وإعترفت ببراءة يوحنا ذهبى الفم .




مجمع
نيقية المسكوني
٣٢٥م

مجمع نيقية المسكونى
سنة ٣٢٥ م

أنعقد هذا المجمع - وهو بكر المجامع العامة المسكونية - فى مدينة نيقية فى شهر مايو سنة ٣٢٥م . بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير لحسم بعض المسائل الدينية وفى مقدمتها المشكلة الكبيرة التى أثارها أريوس ونحاول الآن أن نقف عند بعض النقاط التى تعطينا صورة واضحة عن هذا المجمع .

أسباب إنعقاده :

لاشك أن الآراء الهرطقية التى نادى بها آريوس هى السبب المباشر لإنعقاد مجمع نيقية لكن كان هناك دواع نجملها فى الآتى :

(١) الخلاف حول تحديد يوم عيد القيامة :

وقد ظهر هذا الخلاف منذ وقت مبكر بين كنائس آسيا الصغرى وبين كنيسة روما حينما أعلن القديس بوليكربوس أسقف أزمير"سميرنا" وتلميذ يوحنا الحبيب أنه ينبغى الإحتفال بذكرى

الصليب يوم ١٤ نيسان العبرى وهو اليوم الذى صلب فيه السيد المسيح وتذكار القيامة فى السادس عشر منه وهو اليوم الذى قام فيه المسيح ، بغض النظر إن كان هذان اليومان يوافقان يومى جمعة وأحد "وهما اليومان اللذان تم فيهما الصلب والقيامة ولهما مدلولاتهما" أم لا . كانت الكنيسة القبطية تحرص على الأحتفال بذكرى هاتين المناسبتين فى يومى الجمعة والأحد .

وفى ختام القرن الثانى حاول فيكتور أسقف روما إرغام كنائس آسيا الصغرى على الإلتزام بيومى الجمعة والأحد لكن هذه الكنائس ردت عليه بعقد مجمع من خمسين أسقفاً وأعتبر فيكتور أسقف روما معتدياً وقرر عدم الإلتفات إلى تهديده . وأخيراً حاول البابا الأسكندرى ديمتريوس الكرام التوفيق بين الفريقين فعمل على أن يعيد المسيحيون بذكرى الصلب فى يوم الجمعة والقيامة فى يوم الأحد على أن يرتبطا بيومى ١٤، ١٦ نيسان العبرى . فجمع لذلك علماء الأسكندرية الفلكيين (وكانوا أشهر الفلكيين فى العالم آنذاك) . ووضعوا قاعدتهم المشهورة وهى أن يعيد المسيحيون عيد القيامة يوم الأحد الذى يلى فصح اليهود مباشرة وعلى الرغم من هذا الحل إلا أن الخلاف ظل قائماً حتى حسمه مجمع نيقية مُقراً مبدأ كنيسة الأسكندرية سالف الذكر .

(٢) الشقاق الذى أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط :

كان ملاتيوس هذا معاصراً لدقلديانوس وقبض عليه وأودعه السجن وكان من جراء ذلك أنه ضعف وبخر للأوثان . ورغم أنه عاد وندم ورجع إلى المسيحية . لكنه بدأ يرسم أساقفة بدون أذن من رئيس الكنيسة البابا بطرس خاتم الشهداء فرسم حوالى ٣٠ أسقفاً مما أضطر البابا بطرس أن يعقد مجمعاً مكانياً حرمه هو وأساقفته . لكن ملاتيوس لم يخضع لحكم المجمع وإستمر فى عصيانه الأمر الذى أتعب كنيسة الأسكندرية .

(٣) موضوع إعادة معمودية الهراطقة :

وهذه مشكلة هامة شغلت الكنيسة ردحاً طويلاً من الزمان والمشكلة تتلخص فى هل يعاد عماد الهراطقة التائبين . وما هو وضع الذين قبلوا العماد على أيديهم . ظهر الخلاف كمشكلة بين القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة "فى شمال أفريقيا" وأسطفانوس أسقف روما . كان كبريانوس يرى " أن المعمدين من يد الهراطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة معموديتهم أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح ولايعاد" على عكس أسطفانوس الذى نادى بعدم جواز إعادة المعمودية إطلاقاً " . تحرج

الأمر وعقد كلا الفريقان بعض المجامع المكانية لتدعيم رأيه . تدخل القديس ديوناسيوس البطريرك الإسكندرى لحسم هذا الخلاف - وكان من كبار اللاهوتيين فى عصره - مؤيداً رأى كبريانوس . وإن كان هذا التدخل قد هّدأ الجو . لكن الأمر أيضاً لم يحسم بصورة قاطعة إلا فى مجمع نيقية .

آريوس وبدعته :

ولد آريوس فى مدينة القيروان "بليبيا" سنة ٢٧٠م ودرس الكثير من العلوم والمعارف ثم نزح إلى الأسكندرية حيث إلتحق بمدرستها اللاهوتية فأظهر فى دراسته نبوغاً كبيراً . وعندئذ داخله الغرور وسعى للحصول على درجة من درجات الكهنوت . شجع فى بادئ الأمر ملاتيوس فى حركته العصيانية ثم عاد وأظهر خضوعاً مزيفاً للبابا بطرس خاتم الشهداء الذى سامه شماساً فقساً سنة ٣٠٦م. بدأ فى إعلان تعاليمه الفاسدة فى عهد البابا بطرس خاتم الشهداء وتتحصر هذه التعاليم فى إنكار لاهوت المسيح وأنه غير مساو للآب فى الجوهر . وحالما وقف البابا بطرس على هرطقته حاول إرجاعه عن تعاليمه الفاسدة هذه ولما لم يقبل أعلن حرمه . بعد ذلك قبض على البابا بطرس وأودع السجن فى زمان الإضطهاد

الذى أثاره دقلديانوس على الكنيسة ـ حاول بعض أتباع آريوس مع البابا بطرس وهو فى سجنه لكى يعطى حلاً لآريوس ولكنه أكد حرمه وإستدعى تلميذيه أرشيلاوس وألكسندروس ـ وأنبأهما بأنه سينال أكليل الشهادة كما تنبأ أنهما سيرتقيا السّدة المرقسية خلفاً له . وقال لهما ضمن ما قال عن آريوس " أن فيه مكراً مخفياً ولست أنا الذى حرمته بل السيد المسيح ـ لأنى فى هذه الليلة لما أكملت صلاتى ونمت رأيت شاباً قد دخل علىّ ووجهه يضئ كضوء الشمس وعليه ثوب متشح به إلى رجليه وهو مشقوق وأمسك بيديه القطعة الممزقة . فصرخت وقلت ياسيدى من الذى شق ثوبك ؟ أجابنى آريوس هو الذى مزق ثوبى فلا تقبله . واليوم يأتيك قوم طالبين إرجاعه فلا تطعهم وأوصى أرشيلاوس وألكسندروس بأن يمنعاه من شركتهما".

وعلى الرغم من هذه النصيحة فإنه عندما تبوأ أرشيلاوس الكرسى الأسكندرى قبل آريوس بعد الحاح بعض أتباعه . لكن أرشيلاوس لم يجلس على الكرسى البطريركى سوى ستة أشهر وخلفه ألكسندروس فجدد حرمه وناهض بدعته . حاول آريوس عن طريق بعض أتباعه أن ينال الحل من فم البابا ألكسندروس لكن هذا الأخير قال لهم " قولوا لآريوس أوصانى أبى ألا أقبلك فلا تدخل

إلىّ و لا أجتمع بك وذلك حسب أمر السيد المسيح فأعترف للمخلص بخطيئتك فإذا قبلك فهو يأمرنى بقبولك " .

منذ ذلك الحين بدأ آريوس فى نشر ضلالته جهاراً فبينما كان البابا ألكسندروس يعظ ذات مرة عن سلطان المسيح فى أقامة الموتى مبيناً أن أبن الله الكلمة مساو للآب وأن له طبيعة وذاتاً واحدة مع الآب . كان آريوس فى مكان آخر من الأسكندرية يعظ على الآية " أبى أعظم منى " مندداً برأى ألكسندروس ومنادياً بأن المسيح غير مساو للآب فى الجوهر بل هو مخلوق بإرادة الآب .. ولكى يروج آريوس لتعاليمه الفاسدة نظم تعاليمه فى مقطوعات شعريه ضمنها كتابه المسمى ثالثاً ولقنها لأتباعه فأذاعوها بين العامة لكى يرددوها بأنغام خاصة لما للتلحين من أثر كبير فى نفوس السامعين . كانت النتيجة أن جمع البطريرك ألكسندروس مجمعاً سنة ٣١٩ م . وأصدر رسائل ومنشورات كثيرة توضح عقائد الإيمان القويم . وإذ لم يرتدع آريوس وأتباعه عقد البابا مجمعاً آخر سنة ٣٢١م حضره حوالى مائة أسقف من مصر وليبيا وحكم بتجريد آريوس من رتبته الكهنوتية وكل من تبعه. وأتصل البابا ألكسندروس بسميه بطريرك القسطنطينية مظهراً له فساد آريوس وضلالته وشارحاً له العقيدة الأرثوذكسية .

لما وجد آريوس أنه قد ضيق عليه الخناق فى الأسكندرية وكل مصر غادرها إلى فلسطين وآسيا الصغرى حيث بعض أصدقائه من الأساقفة الذين إنخدعوا بضلالته وسمحوا له بنشرها ثم إتصلوا بالبابا ألكسندروس راجين قبوله فى شركة المؤمنين . لكن البابا رفض طالما هو باق على ضلالته . إقتنع بعض الأساقفة بينما عقد البعض الآخر مجمعين متتاليين فى عامى ٣٢٢ ، ٣٢٣م قرروا فيهما إلغاء الحرم الصادر من البابا ألكسندروس وعاد آريوس إلى الأسكندرية ثانية ينفث سموم تعاليمه ممعناً فى عناده وضلاله . فطرده البابا ثانية فعاد من حيث أتى .

إتصل أوسابيوس أسقف نيقوميدية بالأمبراطور قسطنطين راجياً وساطته لحل هذا الخلاف . أنتدب الإمبراطور هوسيوس أسقف قرطبة لهذه العملية المهمة فأتى إلى الأسكندرية لكنه لم يفلح فى مهمته . فعاد إلى الإمبراطور شارحاً له الأمر طالباً عقد مجمع عام لعلاج هذه المشكلة الخطيرة .

جلسات المجمع

إنعقد المجمع فى مدينة نيقية فى شهر مايو سنة ٣٢٥م وخصص لإجتماعاته الساحة الوسطى فى القصر الإمبراطورى بالمدينة نظراً لإتساعها . بعد أن أعدت فيها المقاعد الكثيرة ووضع فى الوسط كرسى من الذهب ليجلس عليه الإمبراطور قسطنطين الذى رغب فى حضور جلسات المجمع " ومدينة نيقية هى العاصمة الثانية لولاية بيثينية وتقع فى الشمال الغربى لآسيا الصغرى وقد تهدمت ولم يبق منها سوى أطلال وفى موضعها الآن قرية "أسنيك" التركية .. وكانت المدينة على جانب كبير من الجمال . وقد أختيرت مدينة نيقية لإنعقاد المجمع لتوسط موقعها بين آسيا وأوربا بالإضافة إلى جوها الصحى . هذا ولم تختر مدينة نيقوميدية وهى العاصمة الأولى لمقاطعة بيثينية نظراً لما كان معروف عن الميول الأريوسية لأسقفها أوسابيوس .

بدأت وفود الأساقفة تصل إلى نيقية قبيل الموعد المحدد لإنعقاد المجمع ، وكان فى مقدمة الحاضرين وفد كنيسة الأسكندرية وكان يتألف من البابا ألكسندروس وشماسه أثناسيوس مع عدد من الأساقفة من بينهم الأنبا بفنوتيوس أسقف طيبة والأنبا بوتامون

أسقف هرقلية بأعالى النيل اللذين قلعت عيناهما بالسيف وكويت حواجبهما بالحديد المحمى بالنار فى زمان الأضطهاد .

وبلغ عدد الآباء الذين حضروا المجمع ٣١٨ أسقفاً منهم ٣١٠ من الشرق وثمانية أساقفة فقط من الغرب ولعل ذلك راجع إلى ضعف المسيحية فى الغرب آنذاك ، وإذ لم يتمكن سلفستروس أسقف روما من الحضور لكبر سنه أناب عنه القسين وتين ويكندس . ولاشك أن الحاضرين فى المجمع كانوا خليطاً من الأساقفة اللاهوتيين الجهابذة ومنهم البسطاء من أمثال القديس أسبريدون أسقف قبرص والقديس نيقولاوس أحد الآباء اليونان وكلاهما أظهر الرب قداسته وكرامته .

ويثبت التاريخ أن وفد كنيسة الأسكندرية كان له الصدارة والمكانة الأولى فى المجمع . قال المؤرخ الإنجليزى ستانلى فى كتابه " محاضرات عن الكنائس الشرقية " لم يكن ألكسندروس هذا أسقف أول كراسى العالم المسيحى من حيث سمو المنزلة والأهمية فحسب بل وأعلى هذه الكراسى كعباً من الوجهة العلمية . وكان هو المنفرد بلقب " بابا " لا يعرف به رسمياً فى المجمع سواه . لأن كلمة " بابا رومية " كانت وقتئذ مالم يتمخض به التاريخ . وأما بابا الأسكندرية فكان علماً على رأسه نار ولقب وإعزاز وحب ومهابة

وإجلال عرف به رأس كنيسة الأسكندرية فكان هو الذى يخاطب به بصفة خاصة ". وثمة إجتماعات تمهيدية كانت تعقد فى الشوارع والمنازل كانت تدور خلالها مباحثات ومناقشات حول القضية الرئيسية التى سينعقد المجمع لأجلها ألا وهى بدعة آريوس . كما حضر إلى نيقية فى الأيام القليلة السابقة لإنعقاد المجمع الكبير كثير من الفلاسفة والوثنيين والمسيحيين وقيل أن بعضهم شارك فى المباحثات التمهيدية التى أشرنا إليها .

وبعد أن أخذ الأساقفة أماكنهم فى المجمع حضر الإمبراطور قسطنطين وجلس عن يمينه البابا ألكسندروس وأثناسيوس رئيس الشمامسة وأوسابيوس القيصرى الذى قام بأعمال السكرتارية . وجلس عن يساره أوسيوس أسقف قرطبة الذى أسند إليه رئاسة المجمع لكبر سنه ، وآريوس وأكبر أعوانه ، كما أصطف الجمهور على جانبى القاعة .

إفتتح المجمع فى عشرين مايو وإنتهى فى ٢٥ أغسطس من سنة ٣٢٥م وكانت الجلسة الأولى جلسة إفتتاحية ألقى فيها سكرتير المجمع خطاب الإفتتاح ورد عليه الإمبراطور قسطنطين بخطاب آخر . ولما بدأ المجمع يزاول أعماله والنظر فى بدعة آريوس حدث جدل ونقاش كثير مما دعا إلى رفع الجلسة وإنفضاضها دون الوصول إلى نتيجة ما .

وفى اليوم التالى إنعقد المجمع وقدم آريوس صورة معتقده الفاسد وفيه " **أن الأبن ليس مساوياً للآب فى الأزلية وليس من جوهره وأن الآب كان فى الأصل وحيد وأخرج الإبن من العدم بإرادته وأن الإبن إله لحصوله على لاهوت مكتسب** " .

إنبرى رئيس الشمامسة أثناسيوس وأفحم آريوس بردوده القوية وحججه الدامغة مُظهراً ضلالة وفساد رأيه مما آثار إعجاب جميع الأساقفة الذين فرحوا لفصاحته وهو لم يبلغ بعد الثلاثين من عمره حتى أن الإمبراطور قسطنطين نفسه أخذته الدهشة ونظر إليه وقال له " **أنت بطل كنيسة الله** " وعندما إبتدأ الآباء فى تحديد المعتقد السليم كان الآريوسيون يوافقون على ظاهر أقوالهم ثم يؤولونها بما هو لصالح معتقدهم ، وأخيراً تدخل أثناسيوس وإقترح أن تضاف إلى العقيدة عبارة **Homo- Ousious** ومعناها "**مساو فى الجوهر** " للتعبير عن حقيقة صلة الآب بالأبن غير أن الأريوسيين رفضوها وأرادوا أن يستبدلوها بعبارة **Homi - Ousious** ومعناها "**مشابه فى الجوهر** " . وبعد نقاش كبير أخذ رأى المجمع فوافق على إقتراح أثناسيوس وتعبيره . وتوالت جلسات المجمع إلى أن تم وضع قانون الإيمان من أول " **نؤمن بإله واحد** " حتى " **نؤمن بالروح القدس** " وقد وقع على قانون الإيمان هذا أكثر من ٣٠٠ أسقف ، ولما إمتنع آريوس وأنصاره عن التوقيع حرمهم المجمع

وقرر نفى آريوس وحرق كتبه .

القضايا الآخرى التى نظرها المجمع :

بعد الإنتهاء من الحكم فى قضية آريوس نظر المجمع فى بعض القضايا الأخرى وأصدر رأيه فيها . وأما هذه القضايا فكانت :

(١) موعد عيد القيامة :

وقد قرر المجمع أن يعيد جميع المسيحيين فى موعد واحد هو يوم الأحد الذى يلى الفصح لليهود . وقرر أن بابا الأسكندرية هو الذى يقوم سنوياً بإبلاغ أساقفة العالم عن موعد عيد القيامة .

(٢) بخصوص الشقاق الذى أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط :

فقد قرر المجمع حفظ حقوق بابا الأسكندرية الواجبة فى رئاسته على الأساقفة الذين فى أقليم مصر .

(٣) مشكلة معمودية الهراطقة :

أيد المجمع رأى الكنائس الشرقية فى أنه لاتعاد معمودية من هرطق عند رجوعه وأوجب إعادة معمودية من يعمدهم الهراطقة .

(٤) زواج الكهنة :

قرر المجمع السماح لمن يريد من الكهنة أن يتزوج مع الإحتفاظ ببتولية الأساقفة وعدم زواج الكهنة المترملين .

قوانين المجمع

سن الآباء المجتمعون بالمجمع عشرين قانوناً لسياسة الكنيسة عامة وافق عليها بالإجماع جميع الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع كما قبلتها كقوانين صحيحة جميع الكنائس شرقاً وغرباً . لكن الكنيسة الرومانية طلعت على الكنيسة الجامعة بعد المجمع النيقاوى بما يقرب من مائة عام وإدعت أن هذه القوانين عددها ٨٤ قانون . أما بواعث هذا الإدعاء فهى محاولة إثبات رئاسة أسقف روما على العالم المسيحى كخليفة للسيد المسيح على الأرض. وضمنوا ذلك القانونين المزورين ٣٣، ٤٤ من القوانين المنسوبة لنيقية .

وأول ما ظهر هذا التزوير كان عند إجتماع مجمع قرطاجنة سنة ٤١٨م الذى طلب القديس أغسطينوس إنعقاده للنظر فى بدعة البلاجيين . وقد أرسل أسقف روما لحضور هذا المجمع نائباً عنه. وفى أولى جلسات المجمع طلب نائب أسقف روما قراءة رسالة أسقفه فوجد الحاضرون وكان عددهم ٢١٧ من الآباء أن هذه الرسالة تشير إلى قوانين منسوبة إلى مجمع نيقية دون أن يكون لها

أى أساس فى القوانين الثابتة بجميع الكنائس .

وإزاء هذه البلبلة قرر أعضاء المجمع إرسال مندوبين إلى الأسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية للإطلاع على قوانين نيقية الأصلية . وكان نتيجة ذلك أن أثبت المجمع أن جميع النسخ لقوانين مجمع نيقية الموجودة بقرطاجنة خالية تماماً من هذه القوانين المزعومة . ونصح المجتمعون أسقف روما أن يوفد من قبله من يتحقق من ذلك من النسخ الأصلية الموجودة بالكراسى الرسولية الشرقية .

وقد أثبت كيرلس مقار فى كتابه "**الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة**" أن هذه القوانين المزورة المنسوبة إلى نيقية إنما هى قوانين مجمع مكانى عقد فى سرديكا سنة ٣٤٧ ولاصلة له بمجمع نيقية ...

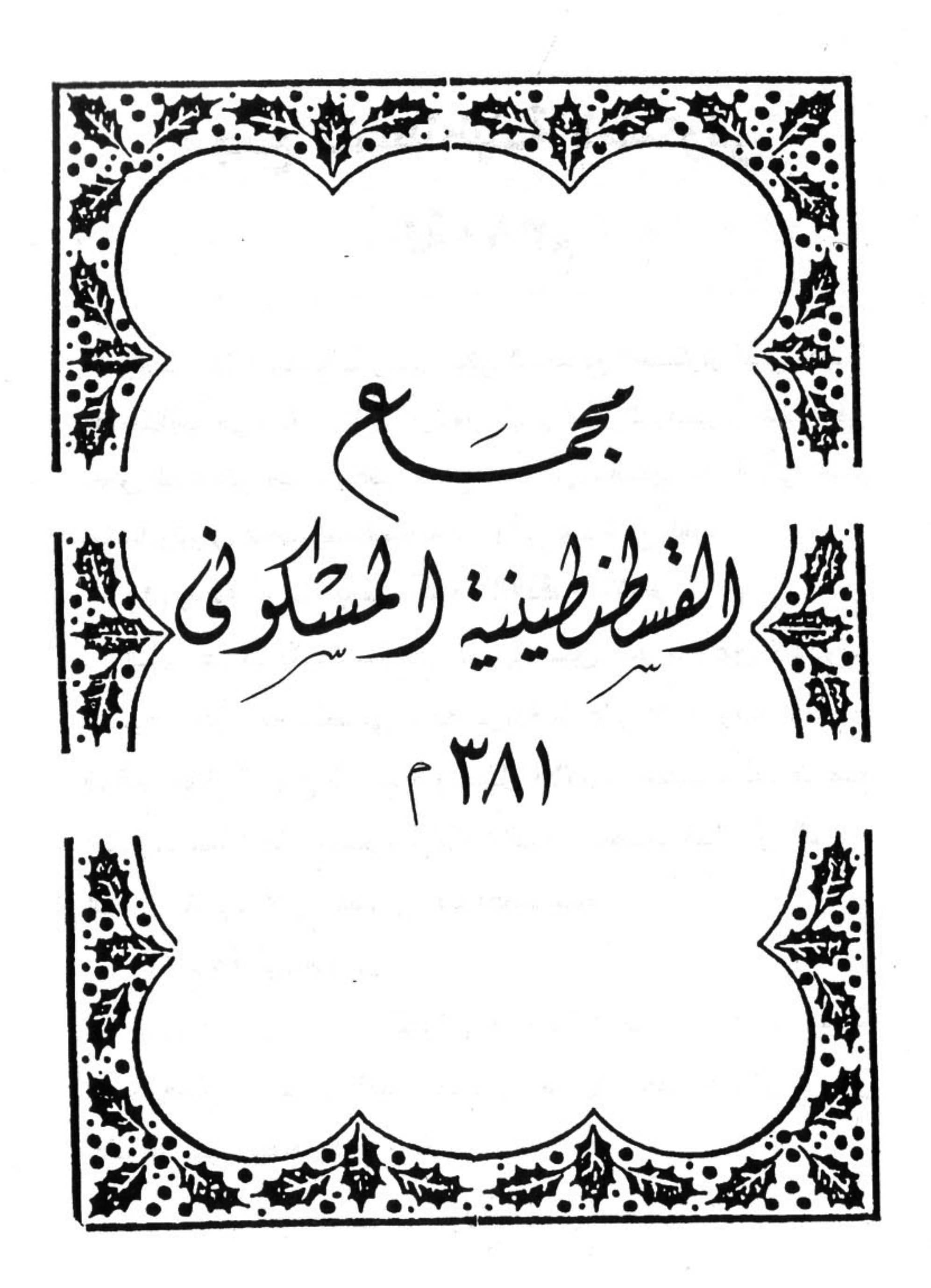
وثابت تاريخياً ومنطقياً من مراجعة هذه القوانين أنها تشير إلى أشياء وإلى أحداث لم تظهر إلابعد مجمع نيقية مما يثبت تزويرها . ومن أمثلة ذلك القانون المزور رقم ٤٢ الذى يقول " والحبش فلا يبطرك عليهم بطريرك من علمائهم ولا بإختيار منهم أنفسهم لأن بطركهم إنما يكون من تحت يد صاحب كرسى الأسكندرية وهو الذى ينبغى أن يصلح عليهم جاثليقاً الذى هو من دون البطريرك

ومن قبله ... ألخ" .

هـذا القـانون ينظـم العلاقـة بيـن الكنيسـة الحبشـية وكنيسـة الأسكندرية وبديهـى أنـه مـزور ولا يمكـن أن يكـون صـادراً عـن المجمع المسكونى الأول لأنه ثـابت تاريخيـاً أن الحبشـة لـم تخضـع لكرسى الأسكندرية إلا بعد أن أرسـل البابـا أثناسيوس فرومنتيـوس إليهـا وسـامه أسقفاً بأسم " الأنبـا سـلامة " سـنة ٣٣٠م . أى بعـد الإنتهاء من مجمع نيقية بخمس سنوات على الأقل أضـف إلـى هـذا أن لقب بطريرك لم يستعمل ضمـن الإصطلاحـات الكنسية إلا فـى القرن الخامس وعلى وجه التحديـد بعـد مجمـع خلقيدونيـة . وحتـى المجمع النيقاوى كان اللفظ المستعمل أسقف وأسقفية أو أسقفيات .

هذا مثل واحد على تزويـر هـذه القوانيـن . ويعوزنـا الوقـت إن أردنا إثبات بطلانها تاريخياً ومنطقياً .





مجمع القسطنطينية المسكوني

٣٨١ م

مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١م

إنعقد هذا المجمع ـ وهو ثانى المجامع المسكونية فى مدينة القسطنطينية فى سنة ٣٨١م بدعوة من الإمبراطور ثيئودسيوس للنظر فى بعض البدع التى ظهرت عقب مجمع نيقية وفى مقدمتها البدعة التى طلع بها مكدونيوس أسقف القسطنطينية ... وأهم هذه البدع كانت :

(١) بدعة أبوليناريوس أسقف اللاذقية بالشام :

الذى عرف بشدة مقاومته للآريوسيين ودفاعه عن لاهوت المسيح . غير أنه سقط فى بدعة غريبة إذ علم بأن لاهوت المسيح قد قام مقام الروح الجسدية وتحمّل الآلام والصلب والموت مع الناسوت كما إعتقد بعدم مساواة الأقانيم لبعضها فقال أن الروح القدس عظيم والأبن أعظم والآب أعظم منهما .

(٢) بدعة أوسابيوس :

الذى علم بأن الثالوث القدوس أقنوم واحد ظهر فى العهد القديم كآب وصار إنساناً فى العهد الجديد بصفة أبن وحل على الرسل فى علية صهيون بصفة الروح القدس .

(٣) بدعة مكدونيوس الذى يعرف بإسم "عدو الروح القدس":

كان مكدونيوس من أتبـاع آريـوس وبواسطة نفوذ الآريوسـيين لدى الملك قسطنطين الآريوسى أقيم أسقفاً علـى القسطنطينية سنة ٣٤٣م ولكنه طرد من كرسيه سنة ٣٦٠ لنقله جثة والده قسطنطين الكبير من مدفن إلى مدفـن آخـر دون علمـه . كـان مكدنيـوس يعلـم تعاليم الآريوسية لما كان أسقفاً ولكنه بعد أن أبعـد عـن أسـقفيته بـدأ ينادى ببدعة غريبة مؤداها " أن الروح القدس عمل إلهى منتشر فى الكون وليس أقنوماً متميزاً عن الآب والإبن . بل هو مخلـوق يشـبه الملائكة . لكن ذو رتبة أسمى " .

مشاهير الحاضرين بالمجمع :

حضر هذا المجمـع ١٥٠ أسـقفاً . ورأسـه الشـيخ الوقـور أنبـا ملاتيوس أسقف كرسى أنطاكية الذى ناضل ضـد الآريوسـية ونفـى بسبب ذلك مرتين وقد إنتقل قبل أن ينتهى المجمع من عقد جلسـاته ووضـع قراراتـه . ومـن أبـرز الحـاضرين الأنبـا تيموثـاوس بابـا الأسـكندرية والقديـس غريغوريـوس الثيؤلوغـوس والقديـس غريغوريوس أسقف نيصص شقيق باسيليوس الكبير .

ويمكن القول بأن مجمع القسطنطينية كان مجمعاً شـرقياً خالصـاً إذ لم يحضره أحد من أساقفة الغرب وحتى دماسـوس أسـقف رومـا

لم يحضـر ولـم يرسـل نوابـاً عنـه غير أنـه قبـل كـل قـرارات هـذا المجمـع . وقيـل أن دماسـوس أرسـل إلـى آبـاء المجمـع المسـكونى يدعوهم للذهاب إلـى رومـا لكـى ينضمـوا إلـى مجمـع كبير غربـى مزمع أن ينعقد هناك لكن الآباء المائة والخمسين رفضوا .

أما عن الملك ثيئودسيوس الأول أو الكبير فيلقب بأسم " الملـك الأرثوذكسى" وهو الذى أصـدر منشـوراً سـنة ٣٨١ يجعـل الديانـة المسيحية ديانة رسمية للدولة . وأمر بهدم المعـابد الوثنيـة . وعلـى الرغم مما عرف عنه من قسوة فـى بعـض الأحيـان لكنـه مـع ذلـك كان طيب القلـب حسـن العبـادة . حـدث لمـا ثـار شـعب تسـالونيكى وقتلـوا حـاكمهم أن أصـدر ثيئودسـيوس أمـره بقتلهـم جميعـاً بـدون تحقيق . فقتل فى وقـت واحـد سبعة آلاف نسـمة . عندئـذ أبـان لـه القديس أمبروسيوس الأسقف خطأه وحرمه من دخول الكنيسة حتـى يتوب. وقال له " كيف تقف أمام الله بذنب الجميع؟ أتستطيع أن تطأ المكان المقدس ويداك ملطختـان بـدم الأبريـاء ؟ وهكـذا ظـل ثمانيـة أشهر لا يدخل الكنيسة ، ولما أراد الذهاب إلـى الكنيسـة ذهـب إلـى مكان قريب منها وأرسل ليستأذن فى الدخول فقال له " إن خطيئتـك الجهارية تقتضى توبة جهارية " وطلب منه أن يصـدر أمـراً بوقـف حكم القتل مدة شهر حتى يظهر البرئ من المذنـب ، فوافـق ودخـل

الكنيسة وسجد أمام هيكل الله باكياً ونادماً ومـردداً كلمـات داود فـى المزمور " لصقت بالتراب نفسى فأحيينى ككلمتك " . ولقد كان هـذا مظهراً تأثر منه كل شعبه .

النظر فى بدعة مكدونيوس :

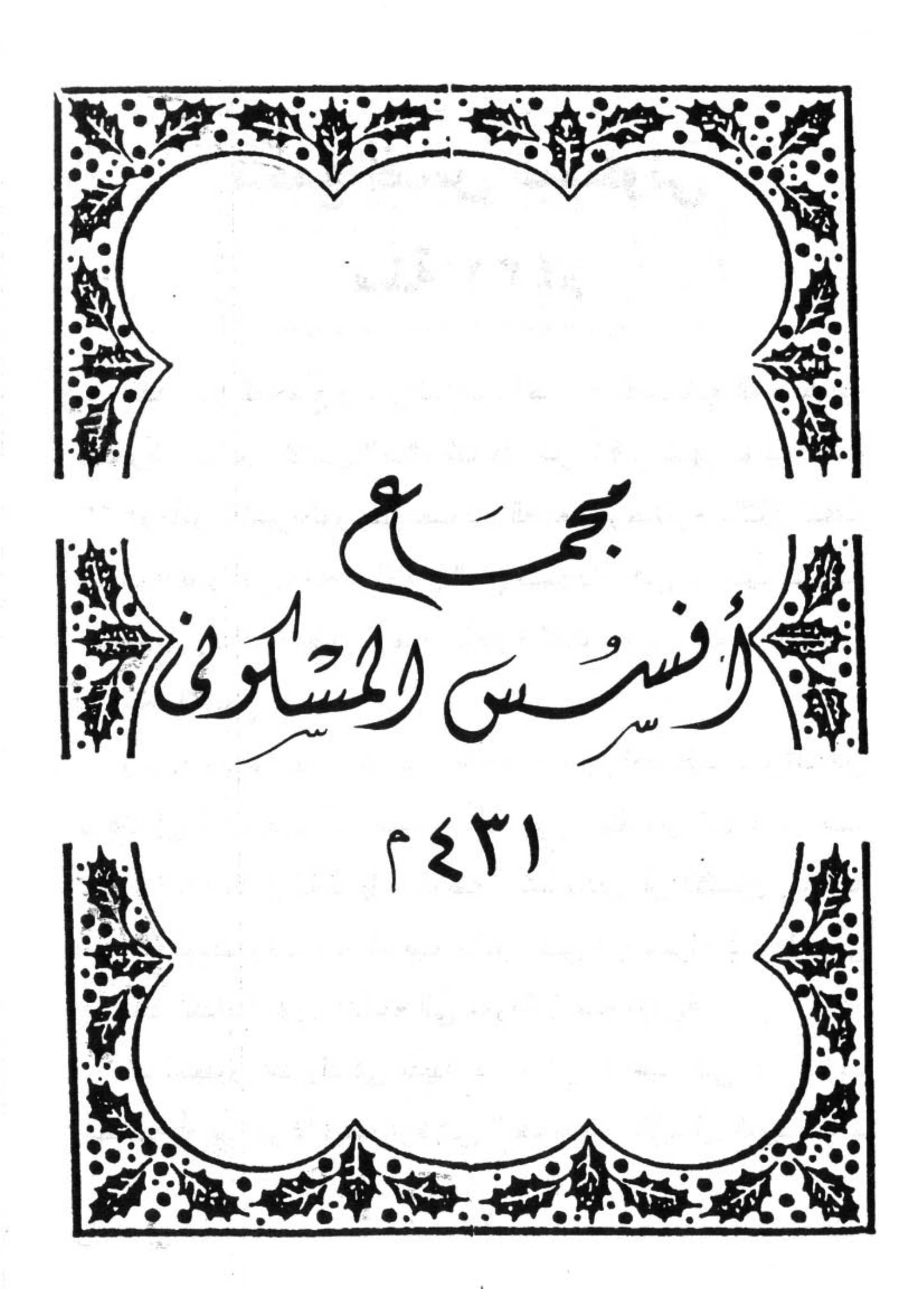
بـدأ المجمـع أولـى جلسـاته فـى شـهر مـايو سـنة ٣٨١ برئاسـة القديس ملاتيوس غير أن هذا الأب مرض قبـل إنتهـاء المجمـع مـن أعماله ورقد فـى الـرب فرشـح البعـض غريغوريـوس الثيئولوغـس الـذى كـان أسـقفاً علـى القسـطنطينية آنـذاك - ليخلفـه فـى رئاسـة المجمع- غير أن الأنبا تيموثاؤس بابـا الأسـكندرية وأسـاقفة مصـر عارضوا هذا الترشيح . فلما رأى غريغوريوس أن موضوع رئاسة المجمع سيحدث إنقساماً تنازل عنها لصديقـه مكـاريوس الـذى حـاز رضـا الجميـع. وبعـد أن تليـت مراسـيم إنعقـاد المجمـع ودعـى مكدونيـوس ليعـرض اعتقـاده فبـدأ يقـول أن الـروح القـدس مخلـوق مستنداً إلى الآية " كل شئ به كان وبغيره لم يكـن شـئ ممـا كـان " (يو ١: ٣) . فأجاب آباء المجمع قائلين " إنه لا يوجد لدينـا إلا روح واحد هو روح اللـه ، ومـن المعلـوم أن روح اللـه ليـس شـيئاً غير حياته . وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فيصبح حسب زعمـك غير حـى فهنا الكفر الفظيع والخطأ الشنيع " .

ثم حاول آباء المجمع إقناعه بخطأ معتقده طالبين منه الإقلاع عنه والعودة إلى الإيمان المستقيم ، لكنه رفض وأصر على رأيه .

وإزاء إصرار مكدونيوس على التمسك برأيه قضى المجمع الكبير بحرمه وفرزه كما حكم الإمبراطور بنفيه وقرر الآباء أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس وأنه مساوياً للآب والإبن وأكملوا قانون إيمان مجمع نيقية ، من عبارة نعم نؤمن بالروح القدس .. حتى نهايته ... كما استدعى المجمع كل من أبوليناريوس وأوسابيوس وناقشهما في آرائهما الفاسدة وإذ أصرا عليها حكم الآباء بحرمهما وقطعهما من شركة الكنيسة والمؤمنين .

ووضع المجمع سبعة قوانين لسياسة الكنيسة . الأول منها يعلن التمسك بدستور إيمان مجمع نيقية ورفض كل التعاليم الغريبة عنه. والثانى خاص بتحديد مناطق نفوذ الكراسى الرسولية والأسقفيات. والثالث يثبت تقدم كرسى القسطنطينية بأعتبارها مدينة الملك .

والقانون الرابع خاص برذل المدعو مكسيموس السينيكى الذى سعى للجلوس على كرسى القسطنطينية بغير وجه حق . والسادس يعالج موضوع النظر فى الدعاوى المقدمة ضد الأساقفة . أما القانونان الخامس والسابع فينظمان ما ينبغى اتخاذه عند رجوع الهراطقة أو أتباعهم إلى الإيمان الأرثوذكسى .


مجمع
أفسس المسكوني
٤٣١م

مجمع أفسس المسكونى سنة ٤٣١م

عقد هذا المجمع وهو ثالث وآخر - المجامع المسكونية المعترف بها من كنائس العالم شرقاً وغرباً فى شهر يونيو سنة ٤٣١م بأمر الإمبراطور ثيئودسيوس الصغير وحضره مائتان أسقف وذلك للنظر فى بعض البدع التى ظهرت وفى مقدمتها بدعة بلاجيوس وبدعة نسطور وهذه الأخيرة كانت هى السبب المباشر فى عقد المجمع .

ولد بلاجيوس ببريطانيا سنة ٤٠٥ ورسم راهباً فقساً . وتتلخص بدعته فى أن خطيئة آدم قاصرة عليه دون نسله وأن كل إنسان منذ حال ولادته يكون كآدم قبل سقوطه . كما نادى بأن الإنسان بما فيه من إمكانيات وقدرات طبيعية قادر على الوصول إلى أسمى درجات القداسة دون الحاجة إلى معونة النعمة الإلهية .

أما نسطور فقد ولد فى مدينة مرعض وترهب فى دير قرب أنطاكية أظهر نبوغاً وحرارة فى الدفاع عن الإيمان القويم ضد

المبتدعين فأختير ليكون أسقفا على كرسى القسطنطينية ولكن ما أن صار أسقفاً حتى سقط فى بدعة شنيعة أقلقت الكنيسة زمناً ومازالت أذيالها حية حتى الآن .

نادى نسطور بأن المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين ولا ينبغى – تبعاً لذلك تسمية العذراء . "والدة الإله " كما عاب على المجوس سجودهم للطفل يسوع واستقطع المقطع الأخير من كل من الثلاثة تقديسات التى ترتلها الكنيسة فى صلواتها وبحكم منصبه أخذ ينشر تعاليمه الفاسدة فى كل مكان مؤثراً على الكهنة والأساقفة أيضاً .. رفض مؤمنوا القسطنطينية تعاليم نسطور الغريبة وبدأوا يثورون ضده ، لكنه أمعن فى عناده . حضر بعض الرهبان ومثلوا أمامه وأبانوا له خطأ تعاليمه وإنحرافه عن الإيمان القويم فثار عليهم وأمر بحسبهم فى الكنيسة كما أمر خدامه بضربهم وإهانتهم . وحالما سمع القديس كيرلس الكبير البابا الأسكندرى بهذه البدعة كتب يفندها ويثبت التعليم الصحيح . وأرسل رسائل كثيرة لنسطور لكنه على الرغم من كل هذا لم يتنازل عن أرائه .

بين البابا كيرلس الكبير ونسطور :

بدأ البابا كيرلس الكبير المعروف باسم عمود الدين كفاحه ضد

النسطورية برسالته الرعوية التى أصدرها علـى عيد القيامـة لسنة ٤٢٨م إذ فند فيها هذه البدعة . وكانت هذه الرسالة ترسل من الكرسى المرقسى إلى جميع الكنائس فى كل مكان . كما جاهر بخطأ عقيدة نسطور فى عظته التى ألقاها ليلة العيد وقال " إن مريم لم تلد إنساناً عادياً بل إبن الله المتجسد لذلك فهى بحق أم الـرب "أم الله " وفى الحقيقة أن البابا كيرلس بعث بعدة رسائل إلى نسطور منها ما أرسله بيد بعض الأخوة ليسلموها إليه يداً بيد، ولكن الصلف تملك على نسطور حتى أنه رفض مقابلة من حملوا الرسالة إليه .

عقد البابا كيرلس مجمعاً مكانياً بالأسكندرية عرض عليه هرطقة نسطور وفيه تليت رسائل البابا كيرلس لنسطور وللأساقفة الأخرين فوافق عليها المجمع وأثبت خطأ تعليم نسطور ، كما عقد كلسينيوس أسقف روما مجمعاً من أساقفته أثبت فيه وأقر الرسالة التى بعث بها البابا كيرلس إلى كلسينيوس رداً على رسالة هذا الأخير إليه بخصوص نسطور . ثم وضع البابا كيرلس إثنى عشر بنداً فصل فيها العقيدة المسيحية وحتم فيها بحرم من لا يؤمن بها "ولذلك فهى معروفة باسم حرومات القديس كيرلس " :

The Anathemas of St. Cyril . وبعث بها إلى نسطور طالباً إليه التوقيع عليها غير أنه أبى وقابل ذلك بكتابة بنود ضدها تؤيد

بدعته وساعده فى ذلك بعض أساقفة أنطاكيـة مـن معتنقـى بدعتـه . وهكذا أنقسمت الكنيسة إلى قسمين - كنائس روما وأورشليم وآسيا الصغرى وقفت بجانب القديس كيرلس الأسكندرى ، أما كنيسة أنطاكية فأنحازت إلى نسطور .

إنعقاد المجمع

لما لمس البابا الأسكندرى كيرلس عناد نسطور وأنـه لا فـائدة ترجى منه أرسل إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير يقول له "إن أبائك كانوا غيورين على الكنيسة مؤيدين لها مدافعين عن عقائدهـا. وقد عاونوا رجالها فى تثبيت الإيمان الإرثوذكسـى الصحيح فنـالوا منهم البركة ..

وهنا أنه فى عهدكم الزاهر قد ظهر نسطور هذا الذى يريد أن يشتت البيعة بضلاله .. لهذا نسأل جلالتكـم أن تـأمروا بعقـد مجمـع عـام للنظـر فـى موضـوع هـذا الرجـل فندعـو لـك ونبـارك ملكك " وهكذا أرسـل الإمـبراطور رسـائل دعـوة إلـى جميـع الأسـاقفة ليحضروا إلى أفسس فى الموعد الذى حدده .

وبدأت الوفود فى الوصـول إلـى مدينـة أفسـس . وجـاء القديـس كـيرلس الكبـير يصحبـه خمسـون أسـقفاً مصريـاً كمـا أحضـر معـه

القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين والأنبا بطرس السوهاجى رئيس دير فاو الراهبين .. وحضرت باقى الوفود . جاء يوبيناليوس أسقف أورشليم " وتأخر عن الموعد المحدد يوحنا أسقف أنطاكية وأساقفته وكذا نواب أسقف روما . وهكذا أضطر الآباء إلى تأخير عقد المجمع عن الموعد المحدد إنتظاراً لبقية الأعضاء . وبعد مضى نحو ستة عشر يوماً أرسل الأساقفة المتأخرون إعتذاراً عن تأخيرهم وذكروا أنهم سيحضرون قريباً كما أنفذ يوحنا أسقف أنطاكية أسقفين حملا موافقته على عقد المجمع قبل حضوره .

حدث هذا فى الوقت الذى تسلم البابا كيرلس أمراً ملكياً بوجوب عقد المجمع فوراً بدون إبطاء .. حينئذ فقد أتفق رأى الآباء على عقد المجمع فى اليوم التالى . أما نسطور فقد حضر معه أربعون أسقفاً من أتباعه .

حاول الأساقفة . قبيل إنعقاد المجمع . التفاهم مع نسطور وثنيه عن معتقده الوخيم دون جدوى . لم يحضر الإمبراطور المجمع رغبة منه فى توفير الحرية التامة للأساقفة فى مناقشتهم فأناب عنه الكونت كنديديان ، وكان هذا نسطورياً ورغب فى إدخال الرعب إلى نفوس الأساقفة قويمى الإيمان ، فقبض على البابا كيرلس ومن معه من الأساقفة وسجنهم فى أحد مخازن الحبوب بالمدينة ، لكنه

لما رأى ثباتهم – عاد وأطلق سراحهم خشية إقتحام أمره للإمبراطور .

جلسات المجمع

كان مكان إنعقاد المجمع هو الكنيسة الكبرى بأفسس وكان عدد الحاضرون مائتى أسقفاً وأختير البابا الأسكندرى كيرلس ليرأس المجمع . أرسل الآباء إلى نسطور ثلاث مرات ليمثل أمام المجمع فرفض الحضور محتجاً بأنه لا يرى لزوماً لحضوره . وأخيراً قال أنه لا يمكنه الحضور قبل وصول يوحنا الأنطاكى وأساقفته . ولم يأخذ المجمع بهذه الإدعاءات لعلمه بسوء نية نسطور ولإضطراره لعدم تأخير أنعقاد المجمع .

أفتتحت الجلسة الأولى بتلاوة رسالة الإمبراطور ثم تليت رسائل القديس كيرلس التى بعث بها إلى نسطور كما قرئت بنوده الإثنى عشر وردود نسطور عليها ثم قرار مجمعى الأسكندرية وروما المكانيين اللذين عقدا ضد نسطور فوافق المجمع عليها جميعاً .

ثم بدأ المجمع مناقشة تعاليم نسطور وآرائه . وفى هذه الجلسة الأولى التى أستمرت حتى المساء أصدر المجمع حكمه ضد نسطور جاء فيه " لهذا رأينا بناء على القوانين المقدسة أن نبرز ضده هذا

الحكم بكل حزن ودموع سائلين المولى بواسطة هذا المجمع المقدس أن يعدمه درجة الأسقفية وليكن مفرزاً من أية شركة كهنوتية " . وأرسلوا كتاباً لنسطور جاء فيه " أعلم أنه لأجل تعاليمك النفاقية وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة وحكم عليك بأنك عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة وغريب من كل خدمة كنسية " . ثم قرر المجمع بحسب التعليم الرسولى أن سر التجسد المجيد قائم فى أتحاد اللاهوت والناسوت فى أقنوم الكلمة الأولى بدون إنفصال ولا إمتزاج ولا تغيير ، وأن السيدة العذراء هى والدة الإله . ثم وضع الآباء مقدمة قانون الإيمان التى مطلعها " نعظمك يا أم النور الحقيقى .. " كما حكم المجمع أيضاً بحرم بلاجيوس وتعاليمه الفاسدة .

لم يقبل نسطور حكم المجمع بحرمه بل ذهب إلى القسطنطينية يحمل معه تقارير خاطئة دونها كنديديان نائب الملك الموالى لنسطور وملاءها بالطعن فى رئيس المجمع وأعضائه وبعد خمسة أيام وصل يوحنا أسقف أنطاكية ومعه ٣٢ أسقفاً ، وكون مجمعاً من أساقفته قرر فيها عزل كيرلس الأسكندرى وممنون أسقف أفسس ورفض قبول أساقفة المجمع الأفسسى فى شركته ما لم يعدلوا عن قراره السابق ضد نسطور . وبمعاونة كنديديان تمكن يوحنا من

إرسال قرارته إلى الإمبراطور طالباً التصريح بإعادة إنعقاد المجمع من جديد .

لم تمض أيام حتى وصل نـواب أسقف رومـا حينئذ عقد البابا كيرلس الجلسة الثانية بحضورهم . وبعد أن تليت أعمال الجلسة الأولى قرئت رسالة أسقف رومـا. ثم تكلم مندوبوا روما مؤيدين القديس كيرلس .

وفى اليوم التالى عقد المجمع جلسته الثالثة وفيها وقع نواب روما على حكم المجمع وقراراته . ثم عقدت الجلسة الرابعة والخامسة وبحثوا ما أقدم عليه يوحنا أسقف أنطاكية فقرروا تبرئة القديس كيرلس وممنون أسقف أفسس كما حرموا يوحنا أسقف أنطاكية .

إبلاغ الإمبراطور قرارات المجمع :

ضرب كنديديان مندوب الإمبراطور الموالى لنسطور حصاراً شديداً على المجمع ومدينة أفسس وحتى لا يتصلوا بالإمبراطور . فكر الآباء فى طريقة يوصلون بها قراراتهم إلى الإمبراطور فأحضروا شخصاً إرتدى ملابس شحاذ وأمسك فى يده عكازاً مفرغاً من الداخل وضعت بداخله قرارات المجمع . وأستطاع بهذه

الحيلة أن يفلت من الحصار الشديد الذى ضربه كنديديان على المدينة كلها، وأن يصل إلى دلماتيوس العابد الذى كان الإمبراطور يجله كثيراً لقداسته وتقواه . أسرع دلماتيوس - عندما وصلته القرارات- فى مقابلة الإمبراطور حيث أطلعه على أعمال المجمع وأحكامه فوافق عليها وأعتمدها .

لكن نسطور وأتباعه لم يكفوا عن محاولاتهم خداع الإمبراطور ليعدل عن إعتماده لقرارات المجمع وأخيراً انتدب المجمع ثمانية من أساقفته كما انتدب يوحنا الأنطاكى ثمانية منهم . وتقابل الوفدان مع الإمبراطور فى مدينة خلقيدونية وبعد مباحثات طويلة اقتنع الأمبراطور بصحة أحكام المجمع فثبتها وأمر بنفى نسطور بعيداً عن القسطنطينية .

القوانين التى وضعها المجمع :

وضع المجمع المسكونى الثالث فى جلساته الختامية قوانين لسياسة الكنيسة ، قرر فى الستة الأولى منها توقيع الحرم على كل من ينحرف عن الإيمان القويم ويشارك نسطور فى معتقده الفاسد. كما وافق على قبول كل من يرذل هذه التعاليم النفاقية وأعلن أن ما يجريه الأساقفة المنحرفى الإيمان من رسامات تعتبر باطلة .

وفى القانون السابع تحذير وحرم لكل من تسول له نفسه أن يعبث بقانون الإيمان الذى وضعه الآباء بزيادة أو نقص . أما القانون الثامن فقد حدد سلطة كل من الأساقفة ، كما حرم على الأسقف أن يعتدى على حقوق غيره .

بين البابا كيرلس ويوحنا أسقف أنطاكية :

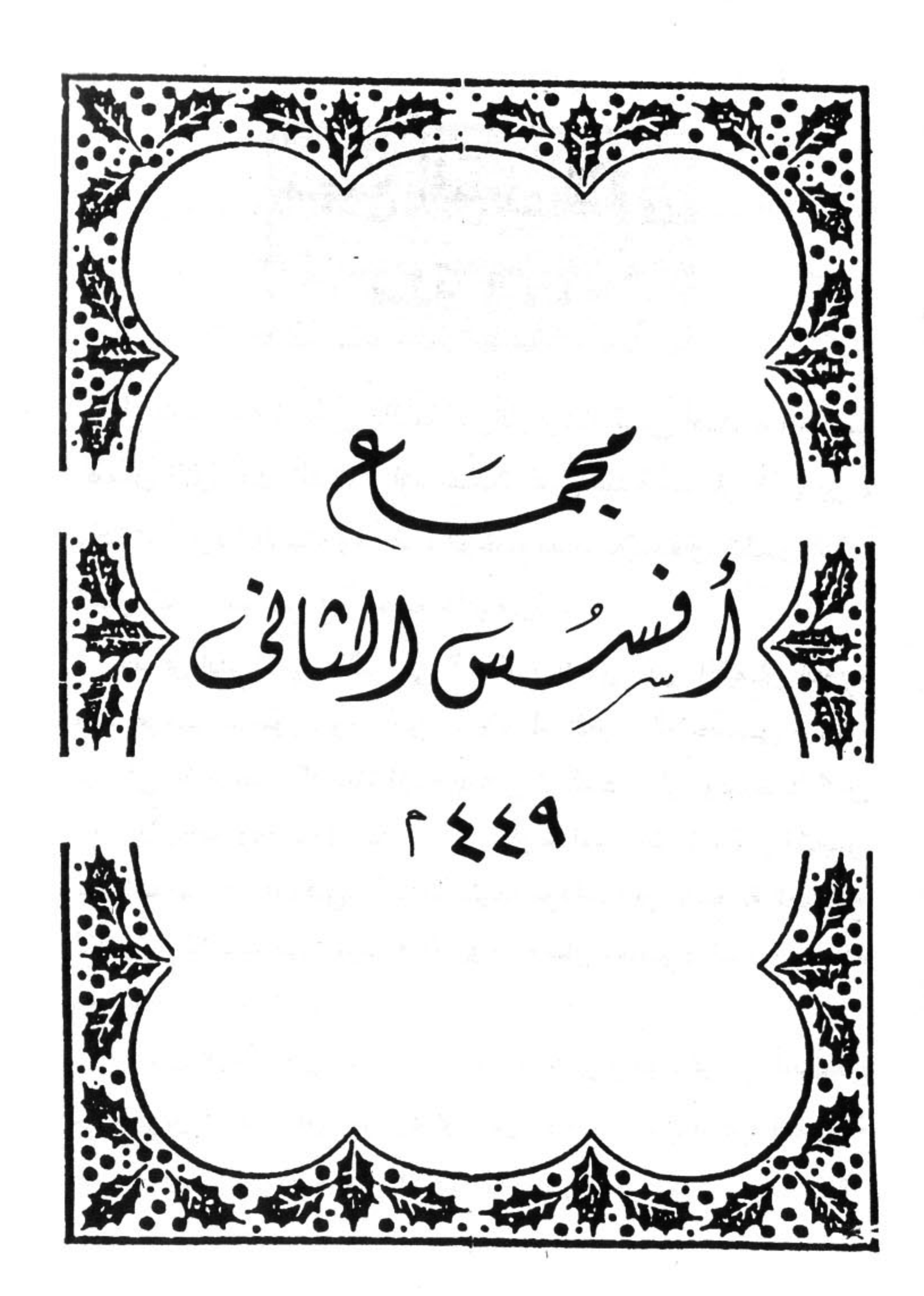
استمر الشقاق بين البابا كيرلس الكبير ويوحنا الأنطاكى فترة من الزمن بعد إنتهاء مجمع أفسس غير أن الإمبراطور تدخل وطلب إليهما أن يتحدا ويزيلا ما بينهما من فرقة . فأخذا يتبادلان الرسائل حتى وافق يوحنا على رسالة للقديس كيرلس بعثها إليه على يد شماسين ووقع عليها بعد تغيير فقرات إلتبس عليه فهمها . كما أرسل يوحنا رسالة إلى البابا كيرلس حملها إليه بولس مطران حمص الذى ألقى خطاباً بليغاً فى الأسكندرية بين يدى البابا كيرلس أبان فيه محاسن الإتحاد ، وهكذا تم الصلح بينهما سنة ٤٣٣م .

ذيول النسطورية :

لم تمت النسطورية بحرم نسطور ولا بموته وإن كانت قد ضعفت كثيراً . ذلك لأن معلمى الرها بالعراق ومن تتلمذ فيها

تمسكوا بتعاليم نسطور ونشطوا فـى نشـرها . ولمـا طردهـم أسـقف المدينة هربوا إلـى مدينـة نصبيـن بالشـام ، ومعهـم بعـض الكهنـة . وهناك شيدوا مقراً لهم وأقاموا رئيساً عليهم دعوه "جاثليق" وعملـوا على نشر بدعتهم فى بلاد فارس وكاشور والهند وغيرها . ومـازال بعض النساطرة حتى الآن فى بعض هذه الأقاليم خاصة فـى شـمال العراق .





مجمع أفسس الثاني

٤٤٩ م

مجمع أفسس الثانى
سنة ٤٤٩

لم تنته بدعة نسطور بالأحكام والقرارات التى أصدرها مجمع أفسس الأول بل ظلت أراؤه عاملاً على بلبلة أفكار كثيرين . وكانت أراؤه الفاسدة ومعتقده الوخيم سبباً للإنشقاق الكبير الذى شطر كنيسة المسيح فى مجمع خلقيدونية .

أنبرى آباء الكنيسة القويمى المعتقد يدافعون عن الإيمان القويم ضد هرطقة نسطور. ومن بين هؤلاء المدافعين المتحمسين رئيس دير فى ضواحى القسطنطينية يدعى أوطاخى "أو أوطاخيا" كان معروفاً بعلمه وفضله ونسكه ، ولكن أوطاخى تطرف فى التعبير عن عقيدته فسقط فى بدعة شنيعة مؤداها أن طبيعة المسيح الناسوتية تلاشت فى طبيعته الإلهية فصار المسيح طبيعة واحدة ممتزجة .

وكان لأوطاخى صديق حميم يدعى أوسابيوس أسقف دوربلاوس . هذا ذهب إليه وحاول أن يرجعه عن بدعة الطبيعة الواحدة الممتزجة لكنه هو الأخر وقع فى خطأ آخر حينما قال

بفصل طبيعتى المسيح بعد الإتحاد .

وإزاء إصرار الأرشمندريت أوطاخى على آرائه عقد فلابيانوس أسقف القطسنطينية مجمعاً مكانياً برئاسته بالقسطنطينية فى عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير حضره ٢٩ أسقفاً و٣٣ أرشمندريت. كان ذلك فى شهر نوفمبر ٤٤٨م . أرسل المجمع إلى أوطاخى ليمثل أمامه ، لكنه رفض . وتكررت هذه الدعوة وأخيراً حضر أوطاخى ومعه بعض رهبانه يتقدمهم كبير الحرس الملكى فلورنسيوس وبيده رسالة من الإمبراطور للمجمع .

وبعد مناقشة أوطاخى فى آرائه حكم المجمع بحرمه وعزله عن رئاسة ديره . لكن المجمع أقر القول بطبيعتين ومشيئتين بعد الإتحاد. وأعضاء المجمع فى تطرفهم ضد بدعة أوطاخى - وقعوا فى هذه البدعة الوخيمة مجددين بدعة نسطور واضعين بذار هذا التعليم الخاطئ الذى نضج واكتمل فى مجمع خلقيدونية .

لكن أوطاخى لم يسكت بل لجأ إلى الإمبراطور وقدم مظلمته إليه مدعياً أنه لم يفعل شيئاً سوى الدفاع عن الإيمان القويم . فأمر الإمبراطور بتشكيل هيئة أخرى من الأساقفة لفحص أعمال المجمع السابق وبحث مظلمة أوطاخى ، فاجتمع الأساقفة فى ٨ أبريل سنة ٤٤٩ بالقسطنطينية برئاسة فلابيانوس أيضاً . وعلى الرغم من أن

معظم أعضاء هذه الهيئة هم بعينهم أعضاء المجمع المكانى السابق المطعون فيه ، إلا أنهم بدأوا يتراجعون وأظهروا صورة جديدة للإيمان ، لكنها جاءت بعيدة عن الصواب وفى هذه الأثناء رفع أوطاخى مظلمته ثانية إلى الإمبراطور كما بعث برسائل إلى لاون أسقف روما الذى أظهر عطفاً عليه . كان كل ذلك سبباً فى إقتناع الإمبراطور بضرورة عقد مجمع عام فى مدينة أفسس للنظر فى هذه المشكلة الجديدة التى تعرضت لها الكنيسة .

إنعقاد المجمع

وجه الإمبراطور ثيئودوسيوس الصغير الدعوة لجميع الأساقفة لحضور المجمع ومن هؤلاء البابا الأسكندرى ديسقوروس الذى طلب إليه أن يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة لتثبيت الإيمان القويم كما أنفذ إليه مرسوماً ملكياً يخوله حق رئاسة المجمع. أما لاون أسقف روما فأرسل نيابة عنه أسقفاً وقساً وشماساً كما حضر المجمع نائباً عن الإمبراطور .

عقدت الجلسة الأولى للمجمع فى الثامن من أغسطس سنة ٤٤٩ بالكنيسة الكبرى بأفسس وبعد قراءة المراسيم الإمبراطورية لإنعقاد المجمع بدأوا يبحثون فى أمر أوطاخى الذى استدعى فمثل أمام

المجمع . ولما طلب آباء المجمع منه أن يوضح عقيدته قدمها مكتوبة كما قالها شفوياً . فلم يجد الآباء أنه حاد عن الإيمان السليم وبعد أن استمع الآباء لبعض رسائل القديس كيرلس فى شرح سر التجسد الإلهى بدأوا يراجعون أعمال مجمع فلابيانوس المكانى ، ولما أخذ رأى الآباء المجتمعين فى إيمان أوطاخى قرر المجمع أن إيمانه سليم وليس هناك ما يوجب عزله أو حرمه كما قرروا نفس القرار بالنسبة لرهبان ديره وقد كان حكم عليهم فى مجمع فلابيانوس المكانى ..

وخلص المجمع إلى القرار الآتى بخصوص الإيمان : " للمرة الثانية نجدد القول بطبيعة واحدة بعد الإتحاد للكلمة المتجسد بدون إختلاط أو إمتزاج أو أستحالة " . ولما سئل فلابيانوس عن رأيه فى قرار المجمع أعلن أنه متمسك بعقيدته التى أعلنها فى مجمعه المكانى وأصر على القول بطبيعتين فى السيد المسيح بعد الإتحاد . فبدأ الأساقفة يناقشونه فأصر على رأيه فقرر المجمع حرمه ومعه ستة أساقفة . وبعد أن أنتهى المجمع من أعماله وأصدر قرارته ووقع عليها الجميع بقبولها رفعت إلى الإمبراطور فوافق عليها وأعتمدها فأصدر أمراً بنفى فلابيانوس وأنفض المجمع وعاد الأساقفة إلى كراسيهم .

مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م

بعد إنفضاض مجمع أفسس الثانى عاد مندوبوا لاون وحملوا إليه قرارات المجمع وضمنها قرار حرم وعزل فلابيانوس أسقف القسطنطينية الذى كان يشاركه رأيه بخصوص طبيعتى السيد المسيح من بعد الإتحاد . ولاشك أن هذه القرارات أغضبت لاون فضلاً عن أن بعض الأساقفة المقطوعين قصدوه واحتجوا أمامه ضد قرارات مجمع أفسس الثانى فوعدهم على مساعدتهم وأرجاعهم إلى كراسيهم .

حاول لاون ما أمكنه أن يعقد مجمعاً عاماً فى مقر كرسيه تستأنف فيه الأحكام التى أصدرها مجمع أفسس الثانى . كتب إلى الإمبراطور ثيئودوسيوس وحرك فالنتيانوس إمبراطور الغرب وأمه وزوجته فكتبوا هم أيضاً ثلاث رسائل إلى ثيئودوسيوس دون جدوى. ولاشك أن هذه المساعى تكشف عن نفسية لاون الذى طار لبه وأكل الحسد قلبه للمكانة الرفيعة التى تبوأها بابوات الأسكندرية حتى فى المحافل المسكونية .

البابا ديسقوروس والأسقف لاون :

ترامت إلى أسماع البابا ديسقوروس موقف لاون من قرارات

مجمع أفسس الثانى ورفضه إياها وتمسكه بما جاء بالرسائل التى بعث بها فلابيانوس والتى تظهره بنفس أراء فلابيانوس الذى حرمه المجمع . يضاف إلى ذلك أن لاون أفسح صدره للمبتدعين من أتباع نسطور الذين حكمت عليهم المجامع المسكونية . وإزاء كل ذلك لم يكن فى إمكان ديسقوروس أن يقف مكتوف الأيدى إزاء الأخطاء التى تبدد الإيمان . فعقد مجمعاً مكانياً من أساقفته بالأسكندرية وأنتهى إلى إصدار قراره بحرم لاون بعد ما ثبت للمجمع ثبوتاً قاطعاً الأسباب التى توجب هذا الحرم .

وفى سنة ٤٥٠م مات الإمبراطور ثيئودوسيوس دون أن يخلف نسلاً وأصبح وريث العرش أخته بوليكاريا التى كانت نذرت الرهبنة . لكن تقاليد الدولة لم تكن تسمح بإعتلاء النساء العرش . على أى حال فإنه بموت ثيئودوسيوس فقد البابا ديسقوروس عنصراً عظيماً فى قضية الإيمان . تزوجت بوليكاريا بأحد قادة الجيش ويدعى مركيان فصار هو الإمبراطور للشرق وكان ميالاً لمبادئ نسطور كما كانت بوليكاريا على جانب كبير من الدهاء والغطرسة والكبرياء .

البابا ديسقوروس وبوليكاريا ومركيان :

كان موت ثيئودسيوس فرصة سنحت للاون ليجدد مسعاه فى

موضوع عقد مجمع عام فى روما ، وفعلاً بعث نواباً قابلوا مركيان والملكة . لكن الظروف السياسية تدخلت لتمنع هذا الأمر . فكانت سياسة مركيان وبوليكاريا ألا يدعا إمبراطور الغرب يتدخل فى شئون الشرق الدينية حتى أن مركيان بإيعاز من زوجته كتب إلى لاون يقول له " إنى مستعد لعقد المجمع فى القسطنطينية وإذا كانت مشقة تحول دون حضورك فأنا أقوم مقامك فى رئاسة المجمع " . كانت بوليكاريا تميل إلى فلابيانوس وتعاليمه فى الوقت الذى كانت تنظر بعين الخوف إلى بابا الأسكندرية "الذى كانوا يسمونه فرعون مصر" وما وصل إليه من قوة ونعمة . وكانت ترى فى إتساع سلطانه خطراً يهدد بإنفصال مصر عن مملكتها لو سنحت الظروف

كانت نتيجة هذه العوامل مجتمعة أن عقد الإمبراطور مركيان مجمعاً فى قصره بالقسطنطينية دعا إليه كثير من الأساقفة كان معظمهم من النساطرة كما بعث إلى البابا ديسقوروس برسالة يدعوه فيها إلى حضور هذا المجمع . حضر البابا ديسقوروس ودهش كثيراً لعدد الأساقفة المجتمعين بلا سبب . ولما قيل إن الملك يهدف إلى توضيح الإيمان قال فى جراءة "إن الإيمان لهو فى غاية الكمال ولا يعوزه شئ من الإيضاح وهو مقرر ومثبت من الآباء أمثال أثناسيوس وكيرلس وغيرهم" .

حاول البعض أن يستميلوه ليوافق على رسالة لاون "طومس لاون" التى تثبت الطبيعتين بعد الإتحاد لكنه قال " إن إعتقاد البيعة ينبغى ألا يزاد عليه أو ينقص منه . فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والعقل والمشيئة كما كرز الآباء . ثم أخذ يشرح لهم المعتقد السليم وخطأ التعليم الجديد الذى يهدفون إلى تثبيته موضحاً كلماته بأمثلة كثيرة منها التشبيه الذى أورده القديس كيرلس الكبير عن إتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص المسيح ، وأنه يشبه إتحاد النار بالحديد فإذا ضرب الحديد بالمطرقة فإن الحديد هو الذى يتأثر ولكن النار لا يلحقها شئ .

وقيل إن أغلب الأساقفة إقتنعوا برأيه لكن الأمر لم يكن مسألة إقتناع بل كانت هناك أسباب خفية تحرك هؤلاء جميعاً للحد من نفوذ ديسقوروس فرفع مركيان الجلسة . وتباحث مع الأساقفة المقطوعين فى أمر ديسقوروس وكيفية التغلب عليه. وأخيراً استقر رأيهم على عقد مجمع بعيد عن العاصمة على أن لا يناقشوا ديسقوروس فى أمر الإيمان الذى كان الحق واضحاً فيه بل يقتصروا على البحث فى أمر الأساقفة المقطوعين ورسالة لاون "طومس لاون" . وهكذا صدرت الأوامر الملكية بعقد مجمع فى مدينة خلقيدونية بآسيا الصغرى وتقع مقابل مدينة القسطنطينية .

إنعقاد المجمع

إختلف المؤرخون فى عدد مـن حضـر هذا المجمـع مـن الآبـاء فمن قائل أنهم كانوا ٣٣٠ أسقفاً ومـن قـائل أنهـم ٦٣٠ أسـقفاً ومـن الآباء المشهورين الذين حضروا البابا ديسقوروس مع بعض أساقفته ويوبينـاليوس أسـقف أورشـليم ومكسـيموس أسـقف أنطاكيـة وأناطوليوس أسقف القسطنطينية . أما لاون أسقف رومـا فقد أنـاب عنه ثلاثة أشخاص "أسقفين وقس" .

حرص مركيان وبوليكاريا على حضور جلسات المجمع ومعهما رهط كبير مـن حاشيتهما وكثير مـن الضبـاط والجنـود بملابسـهم الرسمية كما حضر القضاه الذين اختيروا لإدارة جلسـات المجمـع . كان المجمع بالصورة التى أنعقد عليها يظهر المؤامرة الدنيئـة التـى دبرها فى الخفاء أتباع كل من فلابيانوس ولاون .

عقدت الجلسة الأولى لهذا المجمع-على أرجح الأراء فى الثامن مـن شـهر أكتوبـر سـنة ٤٥١م فـى كنيسـة القديسـة أوفيمـا بمدينـة خلقيدونية . وما كاد الملك مركيان ينتهى من إلقاء الخطاب التقليدى لافتتـاح المجمـع حتـى نهـض أحـد مندوبـى لاون واعـترض علـى

جلوس البابا ديسقوروس فى مقدمة الآباء بدعوى أنه قد جئ به إلى المجمع ليحاكم لأنه أقدم على عقد مجمع أفسس السابق بدون أذن كرسى روما . وإذ أدرك القضاه أن هذا الإدعاء باطل أفحموه بالإجابة فلاذ بالصمت .

ثم نهض أوسابيوس أسقف دوربلاوس الذى عزله مجمع أفسس الثانى مع فلابيانوس وأدعى أن ديسقوروس حكم عليه وعلى زميله فلابيانوس ظلماً .. وهنا قال البابا ديسقوروس " إن الحق يتضح عند قراءة أعمال المجمع السابق " .. بعد ذلك دخل إلى المجمع تاودريتوس أسقف قورش المقطوع لنسطوريته وطلب الإنضمام إلى أعضاءه بدعوى أنه أعيد إلى كرسيه بأمر لاون أسقف روما . وهنا حدث هرج ومرج لأن فريق لاون وفلابيانوس كانوا أكثريه فى المجمع .

ثم إستأنفوا قراءة بقية أعمال مجمع أفسس الثانى فإدعى اسقف أفسس مع بعض أساقفة الشرق بأنهم لم يوافقوا على قرارات المجمع المشار إليه إلا مرغمين تحت ضغط الجنود شاهرى السلاح. وهنا قال لهم أساقفة مصر " إن جندى المسيح لا يرهب القوة التى لا تخيف إلا الجبان . أضرموا النار ونحن نعلمكم كيف يكون الإستشهاد " .

وأستأنف القارئ تلاوة أعمال المجمع السابق حتى وصل إلى ذكر رسالة لاون فسأل القضاه البابا ديسقوروس عن سبب عدم قراءتها فأجاب بأنه أمر مرتين بقراءتها وأيده فى ذلك أسقف أورشليم ، وأضاف أنها أرجئت لولا ورود رسالة من الإمبراطور ثيئودوسيوس قرئت أولاً . وبعد ذلك لم تتل رسالة أسقف روما سهوا. ثم بدأ القارئ فى تلاوة إعتراف أوطاخى الذى قدمه لمجمع أفسس الثانى ومصادقة الأساقفة على أورثوذكسيته ، ومن بينهم باسيليوس أسقف سولكيا. غير أن هذا الأسقف وقف وأنكر مصادقته على إعتراف أوطاخى. فتألم البابا ديسقوروس لكذب هذا الأسقف وقال " لست أدرى ما الذى يدعو باسيليوس إلى الإنكار وهو يعلم أنه إنما صادق على تعليم صحيح قدم إلينا "ثم قال "إذا كان أوطاخى قد جحد العقيدة الصحيحة التى تضمنتها رسالته ونادى بتعليم غريب فهو لا يستحق العقاب فقط بل هو جدير بأن يحرق بالنار".. وبعد أن تراجع وأنكر باسيليوس إيمانه السليم الذى أعلنه فى مجمع أفسس الثانى نظر إليه البابا ديسقوروس وقال له من فمك تتبرر ومن فمك تدان . لقد أستحييت من الناس فتجاوزت حدود الصلاح وأهنت الإيمان ألا تعلم أنه لا حياء فى الحق ولا رياء فى الدين .

ولعل الأساقفة المدعين كذباً وزوراً وبهتانا على البابا

ديسقوروس قد تـأثروا من تأنيبه لهم أو ضعفوا أمام حججه فلم يجدوا بداً من التسليم فوقفوا فى المجمع وقالوا " أخطأنا ونطلب الغفران ولما سئلوا ثانية ما الذى دفعهم لهذا التغيير المفاجئ كان جوابهم نفس العبارة السابقة " أخطأنا ونطلب الغفران " . ولما أدرك خصوم ديسقوروس أن الأمر سيفلت من أيديهم قرروا رفع الجلسة على أن تستأنف بعد خمسة أيام .. كانت هذه فى الواقع مهلة ليحيكوا فيها مزيداً من المؤامرات .

وفى مخطط المؤامرة هداهم تفكيرهم إلى عقد جلسة سريعة قبل الموعد المحدد لا يحضرها القضاة ولا ديسقوروس وذلك حتى يخلو لهم الجو وبهذا يتمكنوا من إصدار ما يحلو لهم من قرارات وفعلاً عقدت الجلسة الثانية فى اليوم الثالث أى قبل الموعد المحدد بيومين بعد أن وضعوا حراساً على البيت الذى كان نازلاً فيه ديسقوروس كى يمنعوه من الخروج إذا حاول ذلك . أما عن تصرفات الأساقفة المجتمعين الذى يتصرفون عن حقد وحسد فكانت خالية من روح المسيحية إذ أنهم عقدوا جلستهم وأرسلوا لأستدعاء البابا ديسقوروس فى الوقت الذى وضعوا حراساً على بيته ليمنعوه من الخروج . ولما جاء رسل المجمع يطلبون حضوره قال لهم "إن الحراس يمنعوننى من الخروج .. إننى لا أحضر هذا المجمع إلا

إذا حضره القضاة " .

وأخيراً أصدر الأساقفة المجتمعون حكمهم المغرض على البابا ديسقوروس غيابياً ، وفى غياب أساقفته والقضاة ونواب الملك ويقضى هذا الحكم بإسقاط الأسقفية عنه وعزله من خدمة الكهنوت ثم أرسلوا إليه قرارات المجمع ، فتلاها على مسمع من بعض أساقفته وإذ وجدها مخالفة لتعاليم البيعة المقدسة كتب على هامشها ما يظهر فسادها كما كتب حرماً على كل من يتجاسر على تغيير العقيدة الأرثوذكسية أو يتلاعب بقوانين المجامع المسكونية .

وما أن تسلم الخلقيدونيون كتاب أمانتهم حتى طيروا الخبر إلى مركيان الذى تملكه الغيظ وعول على قتل ديسقوروس لولا خشيته مغبة هذه الجريمة فاكتفى بنفيه إلى جزيرة غاغرا بآسيا الصغرى، وبقى فى منفاه خمس سنين صرفها فى هداية الضالين وشفاء المرضى وإنتقل إلى عالم المجد سنة ٤٥٧م .

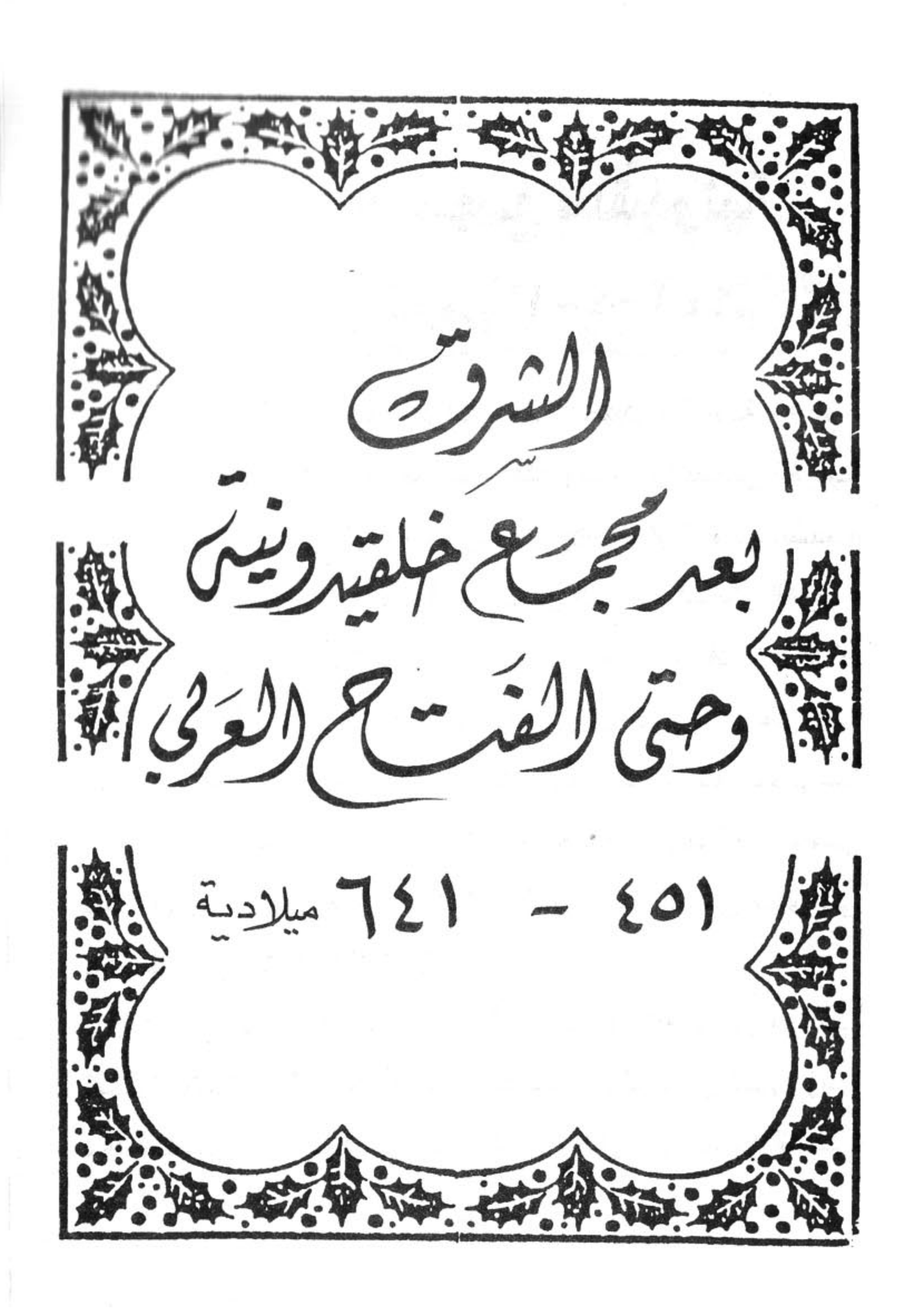
وهكذا كان مجمع خلقيدونية وما أصدره من قرارات سبباً فى إنقسام العالم المسيحى هذا الإنقسام الذى مازال العالم كله يجنى ثماره حتى الآن . تلك الثمار التى زرع بذارها لاون أسقف روما ونماها خلفاؤه .

ولا نود أن ننهى هذا الفصل من دراستنا دون أن نشير إلى

شخصية ديسقوروس الذى تدعوه الكنيسة " بطل الأرثوذكسية العظيم " فقد كان شيخاً وقوراً جمع بين الروحانية والعمق الدراسى اللاهوتى والشجاعة المسيحية والرغبة فى التضحية حتى بالنفس من أجل الإيمان . حدث أثناء حضوره فى المجمع الذى انعقد فى القصر الإمبراطورى بالقسطنطينية والذى دعا إليه الملك مركيان أن أحد الأساقفة الحاضرين أخذ يوجه إلى ديسقوروس الكلام طالباً إليه أن يذعن لرغبة الإمبراطور ولا يخالفه كى يبقى فى منصبه . فما كان من البابا ديسقوروس إلا أن قال له " إن القيصر لا يلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الإيمان المستقيم فإنهم يعرفون الكتب وخير له أن لا يميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق . دهش الجميع من جراءة ديسقوروس . وهنا قالت بوليكاريا " يا ديسقوروس لقد كان فى زمان والدتى أفدوكسيا إنسان قوى الرأى مثلك "تقصد يوحنا الذهبى الفم" وأنت تعلم أنه لم يجنى من جراء مخالفتها خيراً وإنى أرى أن حالك سيكون مثله "فأجابها ديسقوروس بكل شجاعة . وأنت تعرفين ما جرى لأمك نتيجة إضطهادها لهذا القديس وكيف إبتلاها الله بالمرض الشديد الذى لم تجد له دواء ولا علاجاً حتى مضت إلى قبره وبكت عليه واستغفرت الرب فعوفيت.

وهأنذا بين يديك فافعلى ما تريدين وستربحين ما ربحته أمك .."
كانت نتيجة هذه الكلمات أن تهجمت هذه الشريرة ومدت يدها وصفعته صفعة شديدة اقتلعت ضرسين من أضراسه لشيخوخته . وما لبث أن إنهال عليه بعض رجال القصر وأوسعوه ضرباً . وإمعاناً فى الإستهزاء به نتفوا شعر لحيته .. أما هو فبقى صامتاً محتملاً وهو يقول " من أجلك نمات كل النهار " ثم جمع الأب الضرسين مع شعر لحيته وأرسلها إلى شعبه بالإسكندرية مع رسالة قال فيها " هذه ثمرة جهادى لأجل الإيمان . إعلموا أنه قد نالتنى آلام كثيرة فى سبيل المحافظة على إيمان آبائى القديسين . أما أنتم الذين بنيتم إيمانكم على صخرة الإيمان القويم فلا تخافوا السيول والهراطقة ولا الزوابع الكفرية " .





الشرق
بعد مجمع خلقيدونية
وحتى الفتح العربي

٤٥١ - ٦٤١ ميلادية

الشرق بعد مجمع خلقيدونية
وحتى الفتح العربى "٤٥١-٦٤١م"

كانت النتيجة المباشرة لقرارات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م ، هى الإنقسام الأول لكنيسة المسيح . فقد وصفت الكنائس الغربية الكنائس الشرقية على أنها مونوفيزية Monophysite " تؤمن بطبيعة واحدة فى المسيح" . بينما وصفت الكنائس الشرقية الكنائس الغربية بأنها Diophysite " أى تؤمن بطبيعتين فى المسيح" . وقد قاد أقباط مصر حركة المونوفيزيه "الأرثوذكسية" فى كل الشرق .. على أنه يجب أن ننظر إلى هذا الأمر - بالإضافة إلى كونه موضوعاً إيمانياً - على أنه تعبير خارجى لنمو الإتجاهات القومية فى مصر ضد الإمبريالية البيزنطية المتزايدة ، التى بلغت أقصى مدى فى حكم جستنيان "٥٢٧ - ٥٦٥م" .

وقد بلغ الجدل اللاهوتى بين الأرثوذكسيين "المونوفيزيين" فى كنيسة الأسكندرية وبين أصحاب مذهب الطبيعتين فى روما والقسطنطينية مبلغاً تجاوز حد اللياقة . وكان هو أساس الصدع

الذى حدث بين الكنائس الشرقية والغربية .. ولكننا لا نبحث هذا الأمر بالتفصيل على المستوى اللاهوتى ، فإن هذا لا يدخل فى دراستنا فى مادة التاريخ الكنسى . لقد تأثرت العوامل التاريخية الخاصة بهذا الصراع من جراء كثرة التعقيد والتشابك، ولذا فتعتبر دراسة تلك الفترة من أكثر المواضيع تعقيداً وصعوبة .. لقد إتهم الغربيون كنيسة الأسكندرية بالأوطاخية، كنتيجة للتآمر الذى حدث فى خلقيدونية ضدها . فى الوقت الذى اعتبرت كنيسة الأسكندرية الأوطاخية بدعة حرمتها مراراً وتكراراً ، لأنها علّمت بأن طبيعة المسيح الناسوتية تلاشت فى طبيعته الإلهية. هذا بينما يؤمن الأقباط "كنيسة الأسكندرية" بأن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين أو أن طبيعتى المسيح اللاهوتية والناسوتية صارا طبيعة واحدة من طبيعتين - باتحادهما الفائق السرى - بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير .. وقد أثبت آباء كنيسة الأسكندرية ومعلموها هذا المعتقد السليم ، مستندين إلى نصوص الكتاب المقدس ، وما قرره مجمع نيقية المسكونى الأول سنة ٣٢٥، وتعاليم القديس كيرلس الكبير فى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ .

والدوافع التى دفعت كنيسة روما والقسطنطينية على وجه الخصوص ، إلى إتخاذ هذا الموقف المشين من كنيسة الأسكندرية

والكنائس الشرقية ، أمر لا يحتاج إلى كثير عناء لإظهاره .. فقد كان لآباء الكنائس الشرقية ، وبالأخص آباء كنيسة الأسكندرية الدور القيادى فى المجامع المسكونية الثلاثة الأولى .. يكفى أن نقرأ للمؤرخ ستانلى فى كتابه " محاضرات عن الكنائس الشرقية " المطبوع فى إكسفورد سنة ١٨٦٤ قوله " **وأصبح بطريرك الأسكندرية بعد مجمع نيقية قاضى المسيحية فى المسكونة كلها"** ويكفى أن نقرأ فى تاريخ المجمع المسكونى الأول بنيقية عن الملك قسطنطين الكبير أنه وقف وسط المجمع الكبير الذى ضم ٣١٨ أسقفاً من أنحاء العالم المسيحى ، ليصافح الشماس أثناسيوس "البابا أثناسيوس فيما بعد"، ويقول له "**أنت بطل كنيسة الله** " .. ثم يأتى المجمع الرابع الذى أنعقد فى أفسس سنة ٤٤٩م برئاسة البابا ديسقوروس وتسيطر عليه كنيسة الأسكندرية .. كل هذا، كان له أثر عميق فى المدينتين الإمبراطوريتين روما والقسطنطينية .. إن وصف الغرب لمجمع أفسس الثانى بأنه " مجمع اللصوص " ليظهر مدى الغيظ الذى أعمل فى نفوس هؤلاء الغربيين ضد كنيسة الأسكندرية وآبائها . وكدليل على مدى هذا الغيظ ، فقد وحد مركيان وكنائس الغرب جهودهم فى حشد أكبر عدد من الأساقفة الغربيين فى مجمع خلقيدونية بلغوا نحو ستمائة أسقف ، إجتمعوا

لينقضوا قرارات مجمع أفسس الثانى ، وليؤكدوا بصورة علنية تقدم كرسى الإمبراطورية فى روما على سائر كراسى العالم المسيحى .

لقد حاولت السلطة الحاكمة فى القسطنطينية فرض تعليم مجمع خلقيدونية بالقوةعلى الكنائس الشرقية . لكن هذه الكنائس – وفى مقدمتها وعلى رأسها كنيسة الأسكندرية لم تلن لها قناة ، وتصدت لهؤلاء الهراطقة مهما بلغت مناصبهم ، وفضلت أن يتجدد عصر الإستشهاد على أن يفرطوا فى الأمانة أو يعوجوها .. وهكذا قامت الفتن ، وأختل الأمن فى بلاد كثيرة ، لاسيما فى مصر وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين "العراق الحالية "، وأرمينيا وفارس "إيران الحالية " ...

وفى ٧ فبراير سنة ٤٥٢م أصدر مركيان مرسوماً يقضى بعزل الإكليروس وأصحاب المناصب فى الدولة إن هم ناقشوا موضوع الإيمان بصورة عامة وعلنية . أما بالنسبة لغير الموظفين فى الدولة ممن يقيمون فى القسطنطينية فكان جزاءهم النفى خارجها وتقديمهم للمحاكمة .. توفيت بوليكاريا (بلشاريا Pulcheria) سنة ٤٥٣ غير مأسوف عليها . وأثار مركيان أضطهاداً عنيفاً ضد الأرثوذكسيين . واستشهد فى هذا الإضطهاد عديد من الأساقفة والكهنة والرهبان والمؤمنين فى الشرق ، ممن رفضوا الخضوع لقرارات وتعليم

خلقيدوينة .. أما الأساقفة الذين زاغوا عن الحق إرضاء للملك الهرطوقى وطمعاً فى مآرب خاصة ، فقد كانوا سبباً فى إهدار دماء زكية لاسيما فى فلسطين ومصر .

إن ما حدث فى مجمع خلقيدونية من هزيمة لكنيسة الأسكندرية على المستوى المسكونى ، ومحاولة إذلالها بحرم ونفى بطريركها البابا ديسقوروس ، لم يكن هو خاتمة المطاف فى الصراع ، بل كان هو البداية .. وصل رسول إمبراطورى إلى الأسكندرية يحمل قراراً بعزل البابا ديسقوروس وتعيين القس الأسكندرى بروتيريوس Proterius "٤٥٢ - ٤٥٧م" . وقد تم ذلك بالقوة المسلحة ، وإلى جانب هذا القرار كان رسول الملك مركيان يحمل معه رسالة إمبراطورية بمعاقبة كل من يجرؤ على العصيان . على أن الأقباط لم يقبلوا هذا الوضع وأضرموا نار ثورة فى الأسكندرية وتجدد عصر الإستشهاد ثانية . ولكن على يد مسيحيين .. قيل إن عدد من سقطوا قتلى فى هذا الإستشهاد يعدون بالآلاف "ذكر البعض أن عددهم بلغ أربعة وعشرين ألفاً" معظمهم من الأساقفة والكهنة والرهبان .. ومن بين من استشهدوا القديس مقاريوس أسقف أدكو بالصعيد . كان بالأسكندرية وحاول والى الأسكندرية أن يرغمه على أن يوقع قرارات مجمع خلقيدونية ، لكنه رفض . فما كان من

أحد الجنود إلا أن ركله فى بطنه بقوة فسقط على الأرض ميتاً نظراً لشيخوخته ... أما بقية الأساقفة الذين رفضوا التوقيع فقد نالهم النفى والتشريد .

توفى مركيان فى فبراير سنة ٤٥٧ ، وخلفه لاون الأول "٤٥٧ - ٤٧٤" ، فاتخذها السكندريون فرصة لرسامة بطريركاً خلفاً للبابا ديسقوروس المعترف الذى تنيح فى منفاه فى ٤ سبتمبر ٤٥٤م. وهكذا رسم البابا تيموثاوس الثانى البطريرك ٢٦ فى ١٦ مارس سنة ٤٥٧، ويعرف فى المراجع باسم تيموثاوس إيلوروس Aelurus. وتبع ذلك أن انشقت أسقفية الأسكندرية بين سلسلتين من البطاركة : الملكانيين Melkites وكانوا من الروم "الأغريق" ، وتتم رسامتهم فى القسطنطينية غالباً ، ويخضعون لمجمع خلقيدونية . والسلسلة الأخرى الأرثوذكسيين "مونوفيزيين" وكانوا وطنيين أقباط تمسكوا بقوميتهم ورفضوا زعامة وسيطرة الروم والخلقدونيين .. لكن رسامة البابا تيموثاوس الثانى ، وما تبعها من عقده مجمعاً بالأسكندرية حرم مجمع خلقيدونية وبروتيريوس الدخيل ، جعلت والى الأسكندرية يلقى القبض على البطريرك تيموثاوس ويبعده إلى أبو صير Taposiris أما النتيجة فكانت مزيد من القتلى .

فى بداية الأمر لم تنظر السلطة المدنية بعين الإكتراث إلى هذا

الصدع الجديد الذى حدث فى كنيسة الأسكندرية نتيجة إقامة بطريرك دخيل يفرض عليهم من الخلقيدونيين. لكن خطورة الموقف بدت واضحة حينما استغل شعب الأسكندرية فرصة إنشغال حاكمها بمحاربة الوندال بشمالى افريقيا وقبائل البلميس Blemyes فى صعيد مصر، فانقضوا على بروتيريوس الأمر الذى إنتهى إلى قتله وسحله فى شوارع الأسكندرية، وأحرقوا جثته وذروا رمادها فى الهواء إمعاناً فى التشفى والإنتقام . وكان ذلك فى ٢٨ مارس سنة ٤٥٧.. وانتهى الأمر بصدور قرار الملك لاون بنفى البابا تيموثاوس الثانى إلى جزيرة غنغرة فى بفلاجونيا Gangra in Paphlagonia حيث نفى البابا ديسقوروس . وإن كانوا قد نقلوه إلى منفى آخر .. أما البابا تيموثاوس الثانى فقد كرس جهوده فى المنفى للكتابة ضد النساطرة والخلقيدونيين والأوطاخيين .

بعد نفى البابا تيموثاوس أقام الخلقيدونيين بالأسكندرية بطريركاً دخيلاً خلفاً لبروتيريوس دعوه تيموثاوس أيضاً وهو المعروف باسم تيموثاوس سالوفاكيولس Salophaciolus وكان تعيينه بقرار من الإمبراطور زينون Zeno. لكن الشعب قاطعه ، وكانوا يقصدون الأديرة للصلاة . لكنهم كانوا لا يفتأون عن رفع الإحتجاجات إلى الامبراطور طالبين إعادة البابا تيموثاوس ثانية من المنفى ... وما

أن تولـى زينـون حتـى لجـأ إليـه أقبـاط الأسـكندرية الأرثوذكسـيين يلتمسون عودة بطريركهم تيموثاوس الثانى من المنفـى. لكـن القـائد باسيليسكوس Basiliscus تمكـن مـن عـزل زينـون وملــك مكانــه . ويبدو أن باسيليسكوس أراد أن يستعين بقوة الأرثوذكسيين فـأصدر أمر سنة ٤٧٦م بإعادة البابا تيموثاوس من المنفى . وفعلاً ترك منفاه ووصـل إلـى القسـطنطينية حيـث اسـتقبل إسـتقبالاً حـاراً بواسـطة المؤمنين وحل ضيفـاً علـى البـلاط الملكـى . وهنـاك زاره كثيرون للإستشفاء والتبرك... ترك القسطنطينية إلى الأسكندرية ومـر علـى أفسس . وفـى الأسـكندرية أسـتقبل اسـتقبالاً حـافلاً مـن كـل الشـعب والإكليروس والرهبـان والراهبـات ، وهـم يهتفـون " مبـارك الآتــى باسم الرب .. " ودخل الكنيسة الكـبرى بعـد أن غادرهـا البطريـرك الدخيـل .. وممـا هـو جديـر بـالذكر أن البابـا تيموثـاوس – بموافقـة الإمبراطور – نقل جسد البابا ديسقوروس فى صندوق فضـى إلـى الأسكندرية حيث جنّز فى إحتفال مهيب كمعـترف ، ووضـع جسـده فى مدفن الآباء البطاركة .

ومما يذكر أنه فى سنة ٤٧٦ حين تقابل البابا تيموثـاوس الثـانى مع الملك باسيليسكوس ، طلب إلى الملك أن يصدر مرسـوماً بحـرم طومس لاون والزيادة التى أضافها مجمـع خلقيدونيـة علـى الإيمـان

النيقاوى .. استجاب باسيليسكوس لهذا المطلب وعقد مجمعاً فى القسطنطينية حضره خمسمائة أسقف يتقدمهم البابا الأسكندرى تيموثاوس، وماربطرس الثانى الأنطاكى فحرموا المجمع الخلقيدونى ولاون الرومانى وطومسه .. وضع صيغة قرار المجمع الراهب بولس أحد الرهبان الوافدين من الأسكندرية وأصدر به منشوراً عاماً وفيه أعلن وجوب التمسك بالإيمان النيقاوى الذى ثبتته ثلاثة مجامع مسكونية فى القسطنطينية سنة ٣٨١م وأفسس الأول سنة ٤٣١، وأفسس الثانى سنة ٤٤٩. كما أمر بإحراق طومس لاون وتعليم مجمع خلقيدونية حيثما وجد .. وقد وقع هذا القرار تيموثاوس الأسكندرى وبطرس الأنطاكى وبولس الأفسسى ومعه أساقفة آسيا الصغرى والشرق ، وأنستاسيوس الأورشليمى وأساقفة ولايته وغيرهم نحو سبعمائة أسقف . أما أكاكيوس Acacius بطريرك القسطنطينية فقد تردد فى التوقيع .

الملك زينون والأرثوذكسيين :

لم يسترح أكاكيوس بطريرك القسطنطينية للنصر الذى أحرزه الأرثوذكسيين بقيادة البابا تيموثاوس . حرض الإكليروس والرهبان فى القسطنطينية ، وأغلق الكنائس ، ونظم مظاهرة صاخبة ضد

باسيليسكوس مدعياً أنه هرطوقى . فاضطر باسيليسكوس إلى إلغاء مرسومه السابق لاسيما وأن الظروف السياسية كانت فى غير صالحه ، إذ أن زينون كان قد أعد جيشاً كبيراً لمقاتلته وأسترداد عرشه ... وفعلاً أنتهى الأمر بعودة زينون وطرد باسيليسكوس فى سبتمبر ٤٧٦ . وبعودته أصدر مرسوماً بإلغاء منشور باسيليسكوس الدينى، ونفى بولس الأفسسى وبطرس الأنطاكى ، وأرسل يتهدد البابا تيموثاوس الأسكندرى، لكن هذا الأخير تنيح سنة ٤٧٧.. وأقام الأرثوذكسيين بطريركاً خلفاً لتيموثاوس هو بطرس الثالث المعروف باسم بطرس منغوس Mongus (٤٧٧- ٤٩٠) البطريرك ٢٧، وكان هو أحد تلاميذ البابا ديسقوروس ورئيس شمامسة كنيسة الأسكندرية.. عقد مجمعاً فور تنصيبه وقرر حرم مجمع خلقيدونية ولاون وطومسه .. فأرسل إليه الملك زينون يتوعده ، فأخذ يتخفى فى بيوت المؤمنين بالأسكندرية .. وفى نفس الوقت أعاد الملك البطريرك الخلقيدونى تيموثاوس سالوفاكيولوس Salophaciolus لكنه توفى سنة ٤٨٢.. توسل الأقباط لدى الإمبراطور زينون أن يجعل بطريركهم بطرس منغوس هو البطريرك الوحيد ، لكن الإمبراطور رفض طلبهم ، وأقيم بطريركاً خلقيدونياً هو يوحنا طلايا Talaia كان يحوز على مساندة روما، لكنه لم يكن على علاقة ود مع دوائر

القصر والكنيسة بالقسطنطينية. وانتهى أمر هذا الدخيل بالهرب إلى روما.. وفى هذا الوقت بدأ التقارب بين أكاكيوس بطريرك القسطنطينية (٤٧١- ٤٨٩) وبطرس الثالث "منغوس" البطريرك السكندريى، فى الوقت الذى أخذ زينون يفقد الأمل فى كسب الأرثوذكسيين (المونوفيزيين) فى الأسكندرية عن طريق العنف، وبات واضحاً أنه لابد من التفكير فى إيجاد حل لإعادة السلام للكنيسة الذى يؤثر بدوره على سلام الإمبراطورية ووحدتها .

الهنوتيكون Henoticon :

كانت الفكرة الجديدة لحل المشكلة الدينية هو ماعرف باسم الهنوتيكون أى وسيلة الإتحاد أو عمل الإتحاد أو كتاب الإتحاد أومرسوم الإتحاد . كانت الميول الأولى لكل من الإمبراطور زينون والبطريرك القسطنطينى أكاكيوس خلقيدونية . لكن ثورة باسيليسكوس - وإن كانت وقتية - لكنها أثبتت لكليهما بدون شك مدى قوة الأرثوذكسيين "أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة" وأهمية مسالمتهم . لذا كان من الضرورى أن توضع صيغة إيمان يقبلونها بدلاً من صيغة الإيمان الخلقيدونى .. والحقيقة أن واضع الهنوتيكون كان هو أكاكيوس . كان يهدفان إلى العودة بالكنيسة إلى

المفهوم اللاهوتى السابق لخليقدونية أى قبل الإنقسام .. وفى سنة ٤٨٢ تمكن من إقناع الإمبراطور زينون – دون كبير عناء – بالموافقة على المحاولة الجديدة . لقد اعترف الهنوتيكون بقرارات المجامع المسكونية الثلاثة الأولى ، وحرم كل من نسطور وأوطاخى وأتباعهما. ولم يتعرض للنقطة الحساسة وسبب الإنقسام وهى الخاصة بطبيعة المسيح . وحرم كل من يؤمن بإيمان آخر ..

كان المرسوم فى صورة رسالة موجهة من الإمبراطور زينون إلى " الأساقفة والإكليروس والرهبان والمؤمنين فى الأسكندرية ومصر وليبيا والخمس مدن الغربية " .

أما خلاصة الهنوتيكون فكانت كالآتى :

"بما أن الإيمان الذى لا عيب فيه وحده ينجينا وأمور الجيل، لذلك قدم إلينا محبو الله رؤساء الأديرة والرهبان عرائض ملتمسين فيها بدموع أن يتم أتحاد الكنائس المقدسة فتنضم إلى بعضها البعض. تلك الأعضاء التى فرقها عدو الخير منذ زمن، حتى مات بعض المؤمنين بدون إقتبال سر العماد ، وآخرون بدون تناول القربان المقدس . فضلاً عن سقوط ربوات من القتلى ، الذين بدمائهم الغزيرة تخضبت الأرض والهواء . ولذلك فقد قررنا نحن والكنائس الأرثوذكسية فى كل مكان ،

ورؤساء الكهنة الذين يدبرونها ، ألا نعرف إيماناً آخر سوى الذى وضعه الآباء القديسون الذين إجتمعوا فى أفسس وحرموا نسطور ومن نسجوا على منواله. فنحرم نحن أيضاً نسطور وأوطاخى اللذين علما خلافاً للإيمان المذكور . ونقبل الفصول الإثنى عشر التى كتبها الطيب الذكر ومحب الله كيرلس الذى كان رئيس أساقفة كنيسة الأسكندرية الجامعة . ونعتقد بأن الوحيد إبن الله والإله يسوع المسيح ، الذى نزل وتجسد حقاً من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة الإله ، والذى هو من طبع الآب باللاهوت ومن طبعنا بالناسوت(١) ، هو واحد لا إثنان(٢) ، وأن العجائب والآلام التى احتملها بالجسد هى لهذا الوحيد إبن الله الواحد(٣). أما الذين يميزون(٤) ، أو يبلبلون أو يقولون بالخيال ، فلا نقبلهم البتة . ذلك أن التجسد الحقيقى المنزه عن الخطيئة الذى من والدة الإله لم يزد على الإبن شيئاً فقد ظل الثالوث ثالوث وما بعد تجسد الإله الكلمة الواحد من الثالوث أيضاً . إننا نكتب بهذا إليكم لا لنعلن إيماناً جديداً ، لكن لنبين أننا نحرم كل من أرتأى أو يرتأى شيئاً آخر سواء كان ذلك فى مجمع خلقيدونية أم فى أى مجمع آخر ، ولاسيما نسطور وأوطاخى ، والذين ينسجون على منوالهما .

ملاحظة :

نلاحظ أن العبارة الموضوع فوقها (١) هى ضد أوطاخى، والموضوع فوقها (٢) هى ضد نسطور، والموضوع فوقها (٣) هى ضد طومس لاون والموضوع فوقها(٤) تعنى النساطرة والخلقيدونيين .

وواضح مما تقدم أن الهنوتيكون كان خطوة كبيرة نحو تفكير الأرثوذكسيين القائلين بالطبيعة الواحدة فى المسيح .. كانت النتيجة المباشرة هو التقارب بين كنيستى الأسكندرية والقسطنطينية ، على الرغم من أن كنيسة روما لم ترحب بالأمر برمته ، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من هذا فى الإتجاه المضاد .

فى ذلك الوقت سنة ٤٨٢ توجه بعض علماء الأسكندرية ليشفعوا لدى زينون فى بطريركهم البابا بطرس الثالث "منغوس" . وحالما التقوا بالملك بسطوا أمامه ما حل بالمؤمنين والكنائس من شدائد من جراء مجمع خلقيدونية ، اقتنع الملك بعودة البطريرك بطرس إلى كرسيه بشرط أن يقبل الهنوتيكون ويوقع عليه ، ويدخل فى شركة مع الأساقفة الآخرين الذين يقبلونه .

رد الفعل فى الأسكندرية :

بدراسة الهنوتيكون وجد البابا بطرس أنه لا يضاد الإيمان الأرثوذكسى . فهو يقبل إيمان وقرارات المجامع الثلاثة الأولى المسكونية نيقية والقسطنطينية وأفسس ، وحرومات كيرلس الكبير الإثنى عشر ، ويشجب نسطور وأوطاخى .. ومن ثم فقد قبله ووقع عليه ، ووعد بأن يقبل فى شركته الذين يرجعون تائبين ومعترفين بما فى الهنوتيكون ... وفى الكنيسة الكبرى بالأسكندرية أخذ يفسر للإكليروس والرهبان والمؤمنين مضمون الهنوتيكون ، موضحاً أنه يتضمن الإيمان الصحيح ، شارحاً لهم لماذا قبله ...

لكن بعض الإكليروس المغالين تحفظوا ضد الهنوتيكون ، محتجين بخلوةٍ من حرم صريح للزيادة التى أدخلها المجمع الخلقيدونى على الإيمان. وأخذوا يناهضون البطريرك بطرس لقبوله ، وعلى وجه الخصوص كيف يصبح فى شركة مع الخلقيدونيين . وكادت تحدث فتنة كبيرة لولا أنه حرم علناً طومس لاون ومجمع خلقيدونية . وشرح لهم لماذا قبل فى شركته من قبلوا الهنوتيكون الذى نقض كل ما أضيف إلى المجامع الثلاثة الأولى ، حتى لو كانوا قبلاً خلقيدونيين .

رد الفعل فى روما :

عقد فيلكس أسقف روما مجمعاً سنة ٤٨٤م حرم فيه أكاكيوس ، على الرغم من القبض على مندوبيه وحبسهم فى القسطنطينية بأمر زينون .. أما رد الفعل فى القسطنطينية فكان حذف إسم أسقف روما من القداسات . لقد حدثت ثغرة بين القسطنطينية وروما عرفت فى الكنيسة الكاثوليكية باسم إنقسام أكاكيوس . وقد دامت هذه الفرقة نحو ٣٥ عاماً .

خلفاء زينون :

على الرغم من وفاة أكاكيوس سنة ٤٨٩ وبطرس منغوس سنة ٤٩٠ والملك زينون سنة ٤٩١ ، فقد ظل الهنوتيكون مرعياً من الإمبراطور الجديد أنستاسيوس الأول "٤٩١- ٥١٨" . وكان على أساقفة القسطنطينية أن يوقعوا على الهنوتيكون عند تنصيبهم .. وظل الأمر على هذا النحو حتى توفى أنستاسيوس .. كانت تلك الفترة هى التى برز فيها القديس ساويرس الأنطاكى "٥١٢- ٥١٨" المحامى الكبير عن عقيدة الطبيعة الواحدة فى عظاته اللاهوتية الشهيرة .

حدث رد الفعل عندما تبوأ الإمبراطور جوستن الأول "٥١٨-٥٢٧" للعرش الإمبراطورى يساعده إبن عمه جستنيان وكانا خلقيدونيين .. عزل ساويرس الأنطاكى ، وأنقذ حياته بالهرب إلى مصر . أعيدت الوحدة بين كنيستى القسطنطينية وروما بواسطة هورميداس Hormidas أسقف روما ، الذى أرسل مندوبين إلى القصر الإمبراطورى فى القسطنطينية بصيغة أخرى للإيمان ، فيها يلعن ويحرم أوطاخى ونسطور وديسقوروس وأكاكيوس ، وكل أصحاب عقيدة الطبيعة الواحدة .

تبوأ جستنيان العرش "٥٢٧ - ٥٦٥" وأحس كخليفة للقياصرة الرومان ، أن عليه واجباً ، هو أن يعيد الإمبراطورية الرومانية. وفى نفس الوقت أراد أن يكون لها إيمان واحد وقانون واحد وكنيسة واحدة.. هذه بإختصار كانت سياسة جستنيان .. وهكذا بدأ جستنيان العمل فى القضية الإيمانية اللاهوتية .. صمم على تحقيق الوحدة فى الكنيسة كخطوة أساسية لتحقيق طموحه فى السيطرة على الكنيسة.. كان خلقيدونياً وبدأ يظهر ميولاً نحو الخلقيدونيين لكنه تراجع عن الدخول فى نزاع من الأرثوذكسيين أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة.. كانت زوجته الإمبراطورة ثيودورا Theodora أرثوذكسية فى الخفاء ، ودافعت عن الأرثوذكسية ومعتنقيها بكل ما

أوتيت من قوة ، وما أستطاعت إلى ذلك سبيلا ، لكن بحكمة حتى لا تثير ثائرة الإمبراطور . كانت ثيودورا إمرأة متدينة، ذا شخصية قوية ، ظهر نفوذها في تشكيل سياسة الدولة الدينية . وبفضل جهودها سمح جستنيان للأساقفة الأرثوذكسيين المنفيين بالعودة إلى ديارهم وكراسيهم . كما دعا كثيرين من الأرثوذكسيين إلى القسطنطينية إلى مؤتمر ديني للتصالح ، وطلب إليهم أن يناقشوا كل الأسئلة التي يكتنفها الشك مع خصومهم .. وهكذا تمكن ساويرس الأنطاكي أن يأتي في أمان إلى القسطنطينية سنة ٥٣٣م على رأس مجموعة قوية من مصر لهذا الغرض ، ومكث هناك سنة كاملة . لكن إجراء أو قراراً حاسماً لم يتخذ ، فقد كانت المشكلة بما يكتنفها من تيارات خفية وأهواء شخصية أعقد من أن تحل .

وكخطوة نحو الأرثوذكسيين أصدر جستنيان في سنة ٥٤٤ مرسوماً أدان فيه ثلاثة من عمد النسطورية عرفوا باسم الثلاثة فصول Tria Kephalain وهم تيودور من مبسيستيا Theodore of Mopsuestia وثيودوريت من قورش Thedoret of Cyrus وإيباس من أديسا Ibas of Edessa وقد رحبت كنائس الشرق بإدانتهم، بينما تذبذبت كنائس الغربيين في قبول هذا المرسوم أو رفضه .. ولم تهدأ المسألة التي أثارها مرسوم جستنيان المعروف باسم الثلاثة

فصـول إلا بمـوت جسـتنيان ، وإرتقـاء الإمـبراطور جوسـتن الثـانى (٥٦٥ - ٥٧٨) ، الذى أصدر هنوتيكون آخر سنة ٥٧١م .

أحوال مصر :

تميزت أحوال مصر السياسية خلال تلك الفترة بسـوء التنظيـم . ولعل الخلافات الدينية كانت سبباً جوهرياً سـاعد علـى ذلـك .. كـان فى مصر الملكانيون تسندهم قوات الدولة . بينما الأرثوذكسيين كـان عليهم أن يعتمدوا على قدراتهم فـى كـل المجـالات ... كمـا تمـيزت تلك الفترة بنمو الإحساس بالقومية المصرية ، الأمر الذى كان يقوده ويغذيـه الأرثوذكسـيين .. كـانت هـذه هـى حالـة البـلاد بينمـا كـان البرابرة يحومون كالجوارح على حدود مصر .. وإزاء هذه الحالـة قسم جستنيان مصر إلى قسمين إداريين :

الأسكندرية والوجه البحرى وجعـل لـه حاكمـاً ، وصعيد مصـر وجعل لـه حاكمـاً آخـر ، كـانت خطـة جسـتنيان التخفيـف عـن كـاهل الحاكم الواحد لكل البلاد ، لكن عملية التقسـيم بـذرت بـذور التنـافس وسوء التنظيم بين الحاكمين لأقليم واحد .

كما اسـتحدث جسـتنيان أمـراً خطـيراً كـان لـه أسـوأ الأثـر علـى نفسية الأقباط ومستقبل مصر السياسـى . فحنيمـا نصـب أبولينـارس

Apolinarias لكرسى الأسكندرية سنة ٥٤١م قلده بالإضافة إلى وظيفته الدينية سلطات عسكرية لتنفيذ سياسته الدينية . وما لبث أن أعطى هذا البطريرك الملكانى حق جمع ضرائب مباشرة لصيانة الكنائس والرعاية . كانت هذه سابقة خطيرة لمن أتى بعده من الأباطرة .. لقد أعطوا لأنصارهم الوسائل التى يمكنهم بها أن ينكلوا بخصومهم الدينيين ويجددوا الإضطهاد الدينى مرة أخرى وفى صورة أخرى بين المسيحيين والمسيحيين ... كانت بداية المأساة على يد الأسقف الدخيل أبوليناريس الذى حاول كبح جماح العناصر الأرثوذكسية الهائجة .. فكانت النتيجة مذبحة شعبية مروعة ...

ومما يذكر بالخير لجستنيان إهتمامه بالقضاء على الوثنية التى كانت ما تزال حية فى أطراف الإمبراطورية . فشجع الإرساليات إلى بلاد النوبة . لكن زوجته تيودورا سارعت وأحبطت خططه بإرسال بعثات أرثوذكسية إلى تلك البلاد مقابل الإرساليات الملكانية.. كما أغلق جستنيان معابد إيزيس الوثنية فى جزيرة فيلة ومعابد آمون فى واحة سيوة ، وحل محلها كنائس مسيحية . كما بنى الدير الذى يحمل الآن إسم سانت كاترين فى جبل سيناء ، وكان يعرف سابقاً باسم دير الإستحالة "إستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه " .

المونوثيليتية Monotheletism :
" القول بمشيئة واحدة فى المسيح " :

السنوات المتبقية للحكم البيزنطى فى مصر تؤلف واحدة من أكثر فترات التاريخ المصرى إمتلاء بالأسى .. فمن مشاكل إغتصاب السلطة الإمبراطورية فى القسطنطينية ، وما ترتب على ذلك من مطامع فى إدارة إقليم مصر، إلى ما أحدثته المنافسة بين حاكمى شطرى مصر من إضطراب وتشويش فى شئون الحكومة..

وهكذا تعرضت مصر إلى عناصر الشر من الداخل ، وأطماع الغزاة من الخارج ..

وهكذا ظهرت عصابات منظمة لنهب بعض المدن كما حدث فى بوصير وكانت على مقربة من مركز السلطة فى الأسكندرية ، بينما كان أحد الحكام منشغلاً بإنزال آخر والإستيلاء على السلطة فى المدينة العظمى ! كان عرش الإمبراطور فوكاس Phocas "٦٠٢ – ٦١٠" يترنح فى ذلك الوقت، ووقع فى قبضة مغتصب آخر للعرش الإمبراطورى هو هرقل Heracluis، وكان قائداً بيزنطياً لجيوش الدول فى أفريقيا . عبر البحر الأبيض المتوسط وتمكن من إسقاط

خصمه ، واستولى على العرش ٦١٠م .

وبينما كان ذلك يحدث ، إذا بالجيش الفارسى بقيادة خسروية Chasroes Parirz يجتاح أقاليم الدولة الأسيوية فى سوريا وفلسطين . وفى لحظة تبوأ هرقل للعرش "٦١٠- ٦٤١ " ، كان الجيش الفارسى على مقربة من مدينة أنطاكية . فى سنة ٦١٣ دخل دمشق ، وفى سنة ٦١٤ سقطت أورشليم فى يده ، وحمل الصليب المقدس وآلات تعذيب المسيح . وفى سنة ٦١٩ بينما كانت إحدى فرق الجيش تتجه إلى البسفور كانت فرقة أخرى تغزو مصر التى ظلت فى قبضة الفرس قرابة عشر سنوات .

كانت الحالة الإمبراطورية الرومانية تدعو للرثاء ، وبدا كل شئ وكأنه قد ضاع . وبينما كان هرقل يفكر فى الهرب إلى قرطاجنة بشمالى أفريقيا ، وضع البطريرك البيزنطى سرجيوس أموال الكنيسة وكنوزها تحت تصرف الإمبراطور للقيام بأول حملة لإسترجاع الصليب المقدس . كانت الخطة التى وضعها هرقل أن يضغط على الفرس فى أماكن قريبة نسبياً من القسطنطينية حتى يضطرهم للإنسحاب من مصر . وبالفعل تم ذلك سنة ٦٢٧، وتمكن هرقل من إستعادة الصليب المقدس ووضعه فى القبر المقدس بأورشليم .

عادت مصر ثانية إلى الحكم البيزنطى ، لكن هرقل لم يستفد شيئاً من الدرس القاسى ولم يكتف بأنه أحيا سياسة جستنيان فى مصر ، بل بالغ فيها بزيادة . فقد عين بطريركاً ملكانياً ، صار هو حاكم مصر كلها فى نفس الوقت ، مع منحه سلطات دينية وحربية ومالية وتنظيمية وقضائية واسعة .. وفى محاولة جديدة لكسب فريق الأرثوذكسيين من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، دون أن يخسر الخلقيدونيين الغربيين ، لجأ إلى صياغة إيمانية جديدة تحل محل الهنوتيكون الذى لم يحقق النجاح الكامل .. أتحد هرقل مع سرجيوس بطريرك القسطنطينية "٦١٠- ٦٣٨ " وأعلن فى سنة ٦٢٢ العقيدة الجديدة التى عرفت باسم " المونوثيلتية " Monotheletism وهى القول بمشيئة واحدة فى المسيح ، على أمل أن تحل محل الإعتقاد بطبيعة واحدة فى المسيح فى الأقاليم الهائجة فى سوريا ومصر .

ودون التعرض للموضوع الحساس الملتهب الخاص بطبيعة المسيح ، وهل هو طبيعة واحدة أم طبيعتين ، ركزت المونوثيليتية على وحدة مشيئتى المسيح الناسوتية واللاهوتية وأنهما كانتا متطابقتين ، متوافقتين ، غير متغيرتين .. كان هرقل يأمل أن يقبل الأرثوذكسيين الصيغة الجديدة ، وهى فى نفس الوقت لا تتعارض

مع أنصار خلقيدونية الغربيين ، وقولهم بالطبيعتين ...

فى البدء بدت هذه الفكرة وكأنها مقبولة لدى بعض رؤساء الكنائس من الجانبين .. وممن قبلوها أثناسيوس بطريرك أنطاكية "٦٢١-٦٢٩ "، وهونوريوس الأول أسقف روما " ٦٢٥-٦٣٨ " .. على أن قبول هذه الصيغة لم يدم إلا بين موارنة لبنان بينما قوبل هونوريوس بمقاومة عنيفة من أساقفة الغرب .

فى سنة ٦٣٨ طبع هرقل مرسومه الذى عرف باسم " أكتيسيس" Ecthesis وعزم على إرغام الجميع على قبول المونوثيليتية .. لكن المقاومة الكبرى لتلك العقيدة الجديدة كانت فى الأسكندرية ، حيث رفض الأقباط أى حل بيزنطى إبتداء من خلقيدونية إلى الهنوتيكون والمونوثيليتية ... كان الخوف من الإبتعاد عن عقيدة أثناسيوس وكيرلس عمود الدين ، فضلاً عن شعور الأقباط بقوميتهم ، جعلهم أكثر الرافضين للحيدة عن التقاليد القديمة ، ليقابلوا السلطة الإمبراطورية فى منتصف الطريق فى المسائل الخاصة بالإيمان .

لكن مصر كانت ذات أهمية خاصة للإمبراطورية ، إذ كانت تعتبر مخزن غلالها . لذا فقد رفض هرقل الإستسلام للنزعة الإنفصالية الدينية والمدنية . كان مصمماً على فرض معتقده بأى وسيلة . كانت الخطوة الأولى فى تنفيذ هذا المخطط هى تعيين

سيروس Cyrus أسقف فاس Phasis فى القوقاز قرب البحـر الأسـود – والـذى كــان ذا ميــول نسـطورية ويتمتــع بذكــاء وولاء ريــائى للإمـبراطور – تعيينـه بطريركـاً ملكانيـاً علـى الأسـكندرية والحــاكم الإمبراطورى لإقليـم مصـر ، تحـت شـريطة أن يقهـر الأقبـاط لكـى يقبلوا الإيمان الخلقيدونى والمونوثيليتية بأى وسيلة .. وسيروس هذا هو المعروف فى المراجع العربية باسم المقوقس وكان وصوله إلــى الأسكندرية فى سنة ٦٣١. وبدأ فى تنفيذ خططـه بـلا أدنـى شـفقة . وفى خلال عشر سنوات غدا من أكثر الطغاة المكروهين فى تـاريخ مصـر .. لقـد اسـتخدم الصليـب وصولجـان الحكـم لسـحق المقاومـة الوطنية .

كان ذلك سبباً فى إنخفاض شعبية هرقـل إلـى الحضيـض ، بعـد شهرته التى نالها نتيجة إسترداد الصليب المقدس من الفرس ... لقـد أزال سـيروس بتصرفاتـه كـل ولاء للقسـطنطينية فقـد أخـذ يتعقـب ويطـارد أساقفة الأقباط والقوميين مـن الأقبـاط . كـان عليهـم إمـا أن يقبلوا معتقده أو يفقدوا حياتهم . ويذكر كتاب تاريخ البطاركة للأنبـا سـاويرس اسـقف الأشـمونين فـى القـرن العاشـر " إنـه لعظـم البـلاء والضيق والعذاب الذى أنزله (المقوقس) بالأرثوذكسيين لكى يدخلـوا فى الأمانة الخلقيدونية ، ضل جماعة منهـم لا يحصـى عددهـا. قـوم

منهم بالعذاب، وقوم بالهدايا والتشريف ، وقوم بالسؤال والخداع. حتى أن قيروس أسقف نيقيوس وبقطر أسقف الفيوم ، وكثيرين مثلهم خالفوا الأمانة الأرثوذكسية ، لأنهم لم يسمعوا وصية الأب المغبوط بنيامين ، ولم يختفوا كغيرهم ، فصادهم بصنارة ضلالته فضلوا بالمجمع الخلقيدونى الطمث " .

ومن فرط الضيق هرب البطريرك القبطى الأرثوذكسى البابا بنيامين الأول ٣٨ " ٦٣٣ - ٦٦٢" إلى دير صغير بالصعيد ، وأختفى خلال السنوات الأخيرة للحكم البيزنطى فى مصر وحتى الفتح العربى ومن الذين نالهم الشدائد واستشهدوا فى تلك الفترة مينا شقيق البابا بنيامين .. يقول تاريخ البطاركة " قبض على الطوباوى مينا شقيق الأب بنيامين البطريرك ، وعذبه عذاباً شديداً ، وأمر بوضع مشاعل تحت جنبيه حتى خرج شحم كليتيه من جنبه وسال على الأرض . وقلع أضراسه وأسنانه باللكم لإعترافه بالأمانة . وأمر أن يملأ جوالق رملاً ويجعل القديس مينا فيه ويغرق فى البحر " .

وقد خلفت زيارات المقوقس لمدن وقرى الدلتا والصعيد فزعاً عظيماً .. فالضرب بالسياط والسجن والقتل كانت مقرونة بمصادرة الممتلكات وأوانى الكنائس . وحتى الأديرة لم تنج منه فقصدها

ليصطاد مخالفيه فى الرأى والمعتقد . ورهبان الأديرة إما أنهم قاوموه مقاومة خاسرة ، وإما أنهم هربوا من أمامه ، حتى المتوحدون والنساك قبض عليهم وعذبوا حتى الموت . ولدينا قصة الأنبا صموئيل المعترف فى دير القلمون بصحراء الفيوم كمثال لمقاومة الأقباط البطولية أمام إرهاب البيزنطيين .. لقد جروا الأنبا صموئيل من منسكه بالسلاسل ، وحول عنقه طوق من حديد كأشر المجرمين . اقتيد إلى مدينة الفيوم حيث أهين وجلد وضرب على أسنانه ، وأخضع لكل أنواع العذابات الشيطانية وأمر الجنود بقتله . ولم ينقذه من أيديهم سوى سدول الليل ، الأمر الذى مكن تلاميذه من سرقته وهو بين الحياة والموت ...

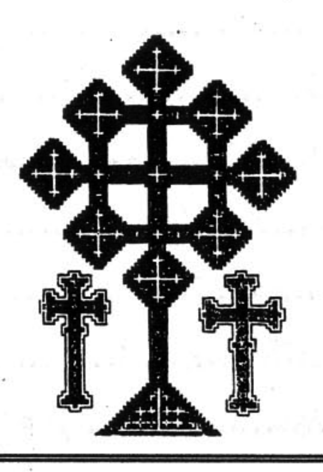
فى تلك الفترة حل بالأقباط من الإذلال ما لا عهد لهم به من قبل فى كل العصور . وتحملت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عذابات المجدّفين على يد ذلك المستعمر الملكانى ... والعجيب أنها استطاعت تحمل كل هذه الضيقات دون أن تلين لها قناة ، واستمرت حية شاهدة للإيمان الحق والشجاعة البطولية . حقيقة أن بعض أبنائها ضعفوا واستسلموا للمستعمر لسبب أو لآخر ، لكن تلك كانت حالات فردية وليست جماعية . أما نتيجة كل ذلك فهى أن الأقباط حملوا لمضطهديهم من البيزنطيين ، ولكل ما هو بيزنطى كراهية

عميقة . وقد عبّر الأقباط عن كل ذلك ، ليس فقط فى العقيدة الأرثوذكسية ، بل فى اللغة القبطية والأدب القبطى أيضاً ، وفوق كل ذلك فى الفن القبطى .. لقد اتسعت الهوة بين الكنيستين القبطية والبيزنطية ، ولم يعد ممكناً تخطيها . لقد ذهبت الخلافات إلى ما وراء حدود المعقول . وكأن الموقف كان يعد لتغيير كبير ، مهما يكن هذا التغيير لقد وقع الفتح العربى لمصر .. وكان ذلك إيذاناً ببدء صفحة جديدة من تاريخ كنيسة الأسكندرية العريقة ، ذلك السجل الحافل بآلام الأقباط وثباتهم وبطولتهم وشجاعتهم وحبهم لإلههم .

ومن الكواكب التى ظهرت فى تلك الفترة وأنارت الكثيرين بضيائها للسلوك فى عالم الروح والفضيلة الأنبا بسنتاؤوس أسقف قفط ، والأنبا يوأنس أسقف البرلس ، والأنبا دانيال قمص برية شيهيت ...

فهرست

صفحة



وإلى اللقاء فى الأجزاء المقبلة قريباً

إن أحبت نعمة الرب وعشنا

الكنيسة القبطية أو كنيسة الأسكندرية كان لها دور قيادي في العالم المسيحي بصفة عامة ... لذا لا نعجب أن يكون لها دور فعال في قضية الإيمان ، فمنذ أن وصلها الإيمان المسيحي على يد مارمرقس الرسول إقتبلت الإيمان ، وحافظت عليه قوياً فعالاً مثمراً. ولقد كان للكنيسة القبطية اليد الطولى في حفظ الإيمان المسيحي نقياً خالياً من كل شائبة .

ونظراً لما كان للمواقف المشرفة التي وقفها بابوات الاسكندرية في الدفاع عن الإيمان وحرصهم على سلامة المعتقد وما أظهروه من شجاعة وثقافة وبعد نظر . كل هذه الأشياء مجتمعة جعلت كنائس العالم قاطبة يقدرون أساقفة وبطاركة الاسكندرية فخلعوا عليهم ألقاباً خالدة حتى الآن .

الثمن ١٠٠ قرش